الملخص التنفيذي

لعب الخطاب الإعلامي دورا مكملا للمواقف الرسمية لكل من إيران ومصر؛ فكل مالم تكن القاهرة أو طهران راغبة في الإعلان عنه صراحة، أو الإدلاء به بشكل رسمي، كانت وسائل الإعلام تتولى معالجته. ومن ثم قادت صحف البلدين، فيما بين عامي ١٩٨١ و٢٠١١م، صداما إعلاميا جسد كل قضايا الخلاف والاختلاف في تصوراتهما الاستراتيجية. كانت البيئة العربية والإقليمية تمثل ظرفا مؤاتيا لأن يشن الإعلام الإيراني حملات معادية لمصر للنيل من سمعتها العربية والإسلامية. وفي المقابل شن الإعلام المصري حملات مضادة، لم يكتف فيها بالذود عن مواقف مصر وإحباط الحملات الإيرانية، بل كرس جهده أيضا لكشف زيف دعاياتها الراديكالية المتطرفة، ونواياها المعادية للأمة العربية

وفي هذا السياق، حرصت الحملات المتبادلة بين مصر وإيران على إبراز موضوعية المواقف الذاتية وحجيتها، واتخاذها منطلقا لتفكيك مواقف الطرف الآخر والحط منها، فضلا عن تبنيها معالجات ركزت على تصوير الأوضاع الداخلية في البلد الآخر بالصورة القاتمة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورسم صورة ذهنية مشينة لنظام الحكم فيه، والتشكيك في سلامة نواياه..

وقد انبرت الصحف الإيرانية، من خلال العناوين الدالة، لبناء صورة ذهنية للمجتمع المصري مفعمة بعوامل الانقسام السياسي والصدام الداخلي . "صدام بين الشعب ونظام حكمه"- الذي يقف على طرفه الأول "نظام مبارك" الرابض على البلاد في هيئة "المستكبر"؛ وما تولده تلك الصورة من معاني الظلم والقمع. بينما تقف على طرفه الآخر الجماعات الأصولية "المستضعفة"، بكل ما تجسده من معاني "المظلومية" و"النضال".

بينما تصدت الصحف المصرية لمعالجة مسألة مساندة إيران للجماعات الأصولية المتطرفة، التي انتهجت العنف والإرهاب في مصر والمنطقة العربية، طيلة مرحلة الدراسة، انطلاقا من يقينها أن مساندة إيران لهذه الجماعات كانت تمثل جزءا من مشروع ثقافي طائفي متطرف، وضعت له عنوانا تحريضيا: تصدير الثورة، بقدر إدراكها أن جانبا من مسئولية ترسيخ قناعات مناهضة هذا المشروع الثقافي لدى الرأي العام يقع على عاتقها، وهو الأمر الذي تكفلت به بشكل واضح ومستمر.

كما عالجت الصحف المصرية والإيرانية تطور العلاقات الثنائية بين البلدين من منطلق تموضع كل منهما من القضايا الخلافية بينهما، وعلى رأسها قضية السلام في الشرق الأوسط، ولذا فقد خرجت هذه المعالجة في صورة اشتباك إعلامي وطيس، نال كل طرف من سمعة الآخر السياسية ودوره الإقليمي. وقد تميزت تلك المعالجة بالحدة تارة وبالتروي تارة أخرى، على نحو كان يعكس مدى نجاح أو إخفاق محاولات التقارب أو التقريب بينهما

Executive Summary

Media discourse played a complementary role to the official positions of both Iran and Egypt; whatever Cairo or Tehran was unwilling to announce publicly, or to make formally, the media dealt with it. Then, between ١٩٨١ and ٢٠١١, the newspapers of the two countries led a media clash that embodied all the issues of disagreement and difference in their strategic perceptions. The Arab and regional environment was a favorable circumstance for Iranian media to launch anti-Egyptian campaigns to undermine its Arab and Islamic reputation. On the other hand, the Egyptian media launched counter-campaigns, not only defending Egypt's stances and frustrating the Iranian campaigns, but also devoted his effort to exposing the falsehood of its extremist propaganda and anti-Arab intentions.

In this context, the mutual campaigns between Egypt and Iran were keen on highlighting the objectivity and the credibility of the self-positions, and taking them as a starting point for dismantling the positions of the other side and undermining them, as well as adopting treatments that focused on depicting the internal situation in the other country in a bleak picture at the political, economic and social levels, drawing a disgraceful mental image of the system of government in it, and questioning the integrity of its intentions

The Iranian newspapers, through headlines, have sought to build a mental image of the Egyptian society full of factors of political division and internal clash - a "clash between the people and their regime" - on whose front is the "Mubarak regime" crouching over the country in the form of "the arrogant"; and what this image generates of the meanings of injustice and repression. On the other side, the "weak" fundamentalist groups stand on the other side, with all the meanings of "oppression" and "struggle".

At the same time, the Egyptian newspapers addressed the issue of Iran's support to extremist fundamentalist groups, which have pursued violence and terrorism in Egypt and the Arab region, throughout the study phase, based on its certainty that Iran's support to these groups was part of an extremist sectarian cultural project, which gave him a provocative title: Exporting the Revolution, to the extent that they realize that part of the responsibility to establish convictions against this cultural project lies with the public opinion, it is their responsibility, which they have clearly and continuously ensured

The Egyptian and Iranian newspapers also dealt with the development of bilateral relations of the two countries, out of the positioning of each of regarding their contentious issues, on top of which was peace in the Middle East. Therefore, this treatment came out

in the form of severe media engagement that affected the political reputation of the other and its regional role. This treatment was characterized by intensity at times and deliberation at other times, in a manner that reflected the success or failure of the attempts to converge or bring them closer.

المقدمة

من المعروف أن الخطاب الإعلامي يلعب دورا مكملا للمواقف الرسمية للعديد من دول العالم، ومنها إيران ومصر؛ فكل مالم تكن القاهرة أو طهران ترغب في الإعلان عنه صراحة أو الإدلاء به بشكل رسمي، كانت وسائل الإعلام تتولى معالجته. ونظراً لأهمية هذا الدور في العلاقة بين البلدين؛ سوف نلقي الضوء عليه بإيجاز؛ كي نقف على ماهية القضايا التي تبناها الإعلام للتعبير عن مدى هوة الخلافات التي اعترت العلاقات بينهما، وكيف صرف خطابهما الإعلامي جهده في النيل من نظام البلد الآخر؛ باعتباره مضاد كليًا له، نافيا عنه أي إيجابية، كاشفا لمساوئه وعيوبه، وبذات القدر منافحا عن مواقفه الذاتية وقراراته الخاصة التي تبناها بشأن هذه القضايا الخلافية.

لقد كانت إيران، في غمرة المد الثوري وعنفوانه، هي البادئة بشن الحملات الإعلامية المعادية لمصر، في ظل أجواء إقليمية كانت معبأة بصيحات الإعلام العربي وجعجعة دول الرفض ضد الرئيس السادات، منذ اللحظة الأولى لدخوله مفاوضات السلام مع إسرائيل. وكم كان ذلك مؤاتيا لأن ينخرط الإعلام الإيراني في تلك الأجواء الصاخبة انطلاقا من رؤيتها الثورية الرامية لاختراق المنطقة العربية من باب الصدام مع مصر ومجاراة التحريض العربي ضدها والنيل من سمعتها العربية والإسلامية. وفي المقابل لم يكتف الإعلام المصري بالذود عن مواقف مصر الجانحة

للسلم والتصدي لبهتان الحملات الإيرانية، بل كرس جهده أيضا لكشف زيف دعاياتها الراديكالية المتطرفة ونواياها المعادية للأمة العربية.

وخليق بنا أن نشير بداية إلى أن اللغة الفارسية كانت ولا تزال هي لغة الكثرة الغالبة لجميع المطبوعات الإيرانية، باستثناء بعض الإصدارات التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، مثل مجلة "الشهيد" التي كانت تصدر بالعربية في أوائل سِني الثورة، وصحيفتي "كيهان العربي" و"الوفاق"، ثم صحيفة "طهران جورنال" باللغة الإنجليزية. وهو الأمر الذي يمكن أن نستنبط منه أن الخطاب الإيراني كان منحسر التأثير الخارجي، موجها للداخل للاستهلاك المحلي. إلى جانب أنه كان يضع في اعتباره، بطبيعة الحال، أن جميع رسائله واتجاهاته كانت موضع اهتمام ومتابعة من جميع البعثات الأجنبية العاملة بطهران. بينما كان الخطاب المصري هو الأوسع انتشارا؛ لأنه كان موجها للقارئ المصري والعربي من المحيط إلى الخليج على حد سواء. إلى جانب أنه كان يضع في اعتباره أن جميع رسائله واتجاهاته كانت محل اهتمام الأجهزة الإيرانية المعنية بمتابعة كل ما كان يرد بالصحف المصرية.

وقد حرصت الحملات المتبادلة بين البلدين على إبراز موضوعية المواقف الذاتية وحجيتها، واتخاذها منطلقا لتفكيك مواقف الطرف الآخر والحط منها. فضلا عن تبني المعالجات التي ركزت على تصوير الأوضاع الداخلية في البلد الآخر بالصورة القاتمة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورسم صورة ذهنية مشينة لنظام الحكم فيه. والتشكيك في سلامة نواياه.

إذ صرفت الصحف الإيرانية جهدها لتصوير مواقف الثورة على أنها المعيار الأمثل الذي ينبغي أن تقاس عليه سلامة المواقف السياسية للدول الأخرى حيال جميع قضايا، وأن إيران، في ظل الجمهورية الإسلامية، باتت هي الحل البديل والأجدر للاضطلاع بدور الريادة الإقليمية. وبذات القدر ولنفس الدافع راحت هذه الصحف تصم دور مصر "بالمتخاذل" وتسم نظامها بـ "التبعية" والسير في "فلك الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني". بينما كرست صحف القاهرة المواقف المصرية على أنها المعيار المنطقي المتكامل، الذي ينبغي أن تقاس عليه سلامة المواقف العربية الأخرى حيال جميع قضايا الإقليمية. وأن مصر هي الدولة العربية الوحيدة القادرة على كبح جماح النظام الإيراني والوقوف في وجه أطماعه وتهديداته. وبذات الدافع راحت هذه الصحف تبرز توجهات النظام الإيراني المعادية للأمة العربية، وكيف أنه يعد مصدر تهديد لأمنها وسلامتها؛ في ظل توجهاته الطائفية مواقفه الانتهازية. مبرهنة على ذلك بأن إيران اتخذت من القضية الفلسطينية وسيلة لتحقيق مكاسب

إقليمية ودولية لنفسها، حتى ولو على أتت تلك المكاسب على حساب حل القضية ذاتها.

تساؤلات الدراسة

تطرح هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات البحثية؛ للإجابة عليها، أهمها:

١. ما هي التصورات التي ارتكز عليها الخطاب الصحفي في مصر وإيران حيال العلاقات بين البلدين، في إطار عينة قضايا الصدام الثقافي والعلاقات الثنائية؟
٢. ما هي منطلقات الدعاية والدعاية المضادة التي استخدمتها الصحف في البلدين؟
٣. ما هي أطر معالجة الصحف الإيرانية للعلاقات مع مصر؟
٤. ما هي أطر معالجة الصحف المصرية للعلاقات مع مصر

الإطار الزمني للدراسة

تلتزم الدراسة بتاريخ ١٩٨١، عام، الذي شهد بداية المواجهة الصريحة والمباشرة للحملات الإعلامية المتبادلة بين مصر وإيران، وتاريخ ٢٠١١م، الذي شهد عهدا جديدا في مصر اعتبارا من ٢٥ يناير

تقسيم الدراسة

نظرا إلى أنه لن يسعنا في هذه الدراسة أن نرصد جميع قضايا الخلاف وكل مواضع الاختلاف التي سهرت الصحف الإيرانية والمصرية على معالجتها، خلال فترة الدراسة، فسوف نكتفي هنا بإلقاء الضوء على قضيتين مهمتين؛ بوصفهما نموذجين بارزين لهذه المعالجة. من خلال المبحثين التاليين:

المبحث لأول: الصدام الثقافي بين مصر وإيران

الذي يلقي الضوء على تباين تصورات البلدين حيال استخدام الدين في تحقيق المآرب السياسية، وكيف عالجت صحف البلدين هذه القضية بطريقة جسدت حجم الافتراق الفكري والثقافي بين مشروعين متنافرين.

المبحث الثاني: العلاقات الثنائية بين القاهرة وطهران

الذي يتناول معالجة الصحف الإيرانية والمصرية للعلاقات الثنائية المقطوعة بين البلدين منذ عام ١٩٧٩م، من منظور القضايا الخلافية بينهما

الخاتمة

المبحث الأول

الصدام الثقافي بين مصر وإيران

انطلق الصدام الثقافي بين مصر وإيران من تباين رؤيتهما حيال فكرة أدلجة الدين وتوظيفه تحقيق الأهداف والمآرب السياسية. وقد عالجت صحف البلدين هذه القضية بطريقة كانت تجسد حجم الافتراق الفكري والثقافي بين رؤيتين مختلفتين، ومدى الصدام بين مشروعين متنافرين، خاصة أن هذه المعالجة تناولت مدخلات لهذا الصدام، التي كان من أهمها مجابهة الراديكالية الشيعية ومناهضة الجماعات الأصولية المتطرفة. وهذا ما نتناوله بإيجاز على النحو التالي:

مجابهة الراديكالية الشيعية:

بداية يتعين علينا أن ننوه إلى أن الأزهر الشريف، الذي يحظى بالاحترام والتقدير في العالم أجمع، لم يقع تحت طائلة النقد والتجريح في الصحف الإيرانية؛ نظرا لأن الإيرانيين كانوا، ولا يزالوا، ينظرون إلى الأزهر على أنه كان ذات يوم مؤسسة شيعية، منذ أن أتم القائد الفاطمي جوهر الصقلي تشييده عام ٩٧٢م، وكم أن أوهامهم تراودهم بين الفينة والأخرى إعادته سيرته الأولى. ثم إن شيخه الأكبر "محمود شلتوت"(١٨٩٣/٤/٢٣ . ١٩٦٣/١٢/١٣م) هو الذي سبق أن أفتى عام ١٩٥٩م، بجواز التعبد بمذهب الإمامية كسائر مذاهب أهل السنة، قبل أن يصح مذهبا راديكاليا متطرفا، وكان شريكا مؤسِسا للتقريب بين المذاهب الإسلامية والدعوة إلى الوحدة بينها. وبالتالي ما كان لصانع القرار الإيراني أن يضع هذه المؤسسة السنية العظيمة في الاتجاه المناوئ للمؤسسة الشيعية في قم، ولا على المسار المعادي للثورة بشكل مباشر؛ وهي التي ترمي إلى استقطاب الراي العام الإسلامي.

ولهذا فإن شيوخ الأزهر وعلمائه لم يتعرضوا لأي نقد أو تطاول إيراني، اللهم إلا في موضعين، الأول كان ردا على إلغاء الإمام الأكبر الشيخ "محمد عبد الرحمن بيصار" (١٩١٠/١٠/٢٠ . ١٩٨٢/٣/٧م) فتوى سلفه الشيخ شلتوت المشار إليها، والثاني كان موجها للإمام الأكبر الشيخ "محمد سيد طنطاوي" (١٩٢٨/١٠/٢٣ . ٢٠١٠/٣/١٠م) لأنه أفتى في مستهل توليه مشيخة الأزهر، عام ١٩٨٦م، ببطلان دعوى الشيعة وأوكل أمرهم للحكام، فضلا عن أنه أيد التسوية السلمية للقضية الفلسطينية، التي كانت ترعاها مصر. وقد تميز هذا النقد، في بدايته، بخلوه من الإثارة؛ تأسيا برد آية الله خميني على الشيخ "بيصار" خلال كلمة ألقاها عام ١٩٨٠م، قال فيها: "إننا متورطون اليوم مع بعض ممن يدّعون الإسلام، وعلى رأسهم علماء دين في بعض البلدان؛ لأنهم يكفروننا ويؤولون أحاديثنا ويعقبون ذلك بتكفيرنا ... ألا يعلم هؤلاء أن عملهم هذا هو عمل مناف للإسلام، وأنهم يسيرون وفق ما تريده القوى العظمى وتتمناه؟ لماذا لا يقف

هؤلاء في وجه أنور السادات ويتصدون لتلك الجرائم الكبيرة التي ارتكبها؟ ... ومع هذا ما سمعناهم يوما يكفرونه"[i]

على أي حال، فإن مجرد مطالعة الموضوعات التي كانت تنشرها الصحف الإيرانية يكتشف لنا بسهولة أن عمليات النقد التي وُجهت إلى مواقف شيخ الأزهر خاصة التي كانت تتعلق بالقضية الفلسطينية، كانت تضطلع بها صحف التيار المحافظ المقرب من المرشد الأعلى للثورة، وعلى رأسها صحيفتي "جمهوري إسلامي" و"كيهان" بطبعتيها الفارسية والعربية. وسنكتفي هنا بالإشارة إلى مثالين فقط للتدليل على ذلك. إذ قد كتب "محمد علي أبطحي" في عموده الثابت بجريدة جمهوري إسلامي تحت عنوان: "جامعة الأزهر بين خيار الأفكار التقليدية أو الحديثة" في مايو من عام ١٩٩٦م، وغمز ولمز في قناة الشيخ سيد طنطاوي على خلفية الفتوى التي أصدرها أثناء ندوة عُقدت بالقاهرة تحت عنوان: "القدس من المنظور الإسلامي والتاريخ العربي"، مطلع ذات الشهر، مفادها أن من يُقتل في سبيل تحرير القدس شهيدا. وزعم "أبطحي" أن فتوى الشيخ طنطاوي هذه "أثارت الغضب الشعبي عليه"، وختم مقاله قائلا: "إن القوى الإسلامية المناضلة في مصر لم يعد لديها أي ثقة لا في شيخ الأزهر ولا في المفتي". هكذا وبكل بساطة ودون أن يحدد هذا الكاتب للقارئ ماهية هذه "القوى الإسلامية" اللهم إلا تلك الجماعات الإرهابية التي كان نظام بلاده يدعمها."[ii] كما كتبت جمهوري إسلامي بمقالتها الافتتاحية، في مطلع شهر يونيو من نفس العام، موضوعا مماثلا في نقد فتوى شيخ الأزهر، تحت عنوان: "مخاتلة مفتي البلاط الفرعوني"، تطاولت فيه على فضيلته، مدعية أن فتواه تلك غير متسقة مع تاريخ الرجل، وأنها جاءت في إطار مخاتلة الرأي العام المصري وخداعه، زاعمة أنه لم يسبق له أنه أصدر فتوى واحدة ضد الكيان الصهيوني، وأنه أبدى، غير مرة، استعداده لزيارة القدس. ثم ختمت الصحيفة مزاعمها قائلة: "إن طنطاوي مفتي عميل لبلاط فرعون مصر، وداعية مُوجه؛ يُعبر عن الفكر الصهيوني المسيطر عليه شخصيا"[iii].

وفي ذات السياق، وضعت صحيفة "كيهان العربي" بدورها الشيخ طنطاوي فيما أسمته "خندق المساومين"، ضمن مقالها الافتتاحي المنشور بتاريخ ٢٣ يونيو عام ١٩٩٧م، ردا على الدعوة التي كان قد وجهها فضيلته لإقامة حوار إسلامي . مسيحي . يهودي؛ لدراسة وتحديد وضع القدس، بعد اعتراف الكونجرس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل (١٩٩٥م) بل وصفته الصحيفة افتراءً بأنه من "وعاظ السلاطين" وقالت إن دعوته تلك إنما تمثل غطاءً شرعيًا لمن يتاجرون بحقوق الأمة ومقدساتها تحت عنوان السلام، كي يواصلون "طريق الخيانة وبيع ما تبقى من فلسطين للكيان الصهيوني" ثم ختمت الصحيفة افتراءتها عليه بتحريض "علماء المسلمين ومفكريهم وخطبائهم" كي "يستمروا في فضح تلك المؤامرة، وبيان مخاطر المشروع الصهيوني/ الأمريكي الذي

يجري تسويقه من خلال الرئيس المصري حسني مبارك وعرفات وغيرهما"[iv].

وعلى الرغم من ذلك، فإن لغة الخطاب الإيراني بدأت تتغير تجاه شيخ الأزهر إلى النقيض تماما، عقب التصريح الذي أدلى به الشيخ طنطاوي، لدى استقباله المرجع الشيعي اللبناني "محمد مهدي شمس الدين" (١٩٣٦ . ٢٠٠١م) في فبراير من عام ١٩٩٨م، أفاد فيه بأنه لا فرق بين السنة والشيعة، وطالب بتشكيل لجنة من العلماء للتقريب بين المذاهب، وتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب. وكذلك بعد أن أبطل الشيخ "نصر فريد واصل" مفتي الديار المصرية (١٩٩٦ . ٢٠٠٢م) آنذاك، فتوى سلفه الشيخ "محمد عبد الرحمن بيصار"، وأعلن اعتراف دار الإفتاء بالمذهب الشيعي في التعبد، أثناء حضوره احتفال مكتب رعاية المصالح الإيرانية بمرور ١٩ عاما على قيام الثورة.[v]

وكان ذلك مدعاة لأن تخطو المؤسسة الدينية في كلا البلدين خطوات عملية نحو التهدئة والتقارب، وهو ما ترجمه الأزهر الشريف بمشاركة أكبر وفد من علمائه وعلى رأسهم مفتي الديار المصرية الشيخ نصر فريد واصل، في أعمال المؤتمر الدولي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الذي عقد بطهران في يناير عام ٢٠٠١م.

ونظراً لأن التقريب بين المذاهب الإسلامية يعد في المخيلة الإيرانية أحد المدخلات المهمة للنفاذ إلى المجتمعات السنية الكبيرة، ومنها المجتمع المصري، فقد أبدت الصحف الإيرانية الكبرى اهتماما كبيرا بمسألة التقرب إلى مصر من باب هذا التقريب. ولعلنا نمثل على ذلك بتلك السلسلة المتتابعة من الدراسات التي أعدها، في هذا الشأن، "محسن پاک آيين" مستشار وزير الخارجية ومدير مركز الدراسات السياسية والدولية، وعنيت صحف "اطلاعات"، و"جمهوري إسلامي"، و"كيهان" بنشرها في حلقات متتابعة، بمناسبة احتفال إيران بـ "أسبوع الوحدة"، تحت عناوين ذات دلالة واضحة ومغزى عميق. فقد نشرت صحيفة كيهان مُستلة منها بتاريخ ١٢ يناير ١٩٩٥م، تحت عنوان: "مصر ومسألة التقريب بين المذاهب"، ثم نشرت للكاتب موضوعا مشابه، في حلقتين، الأولى بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٩٥م، تحت عنوان: "إكرام أهل البيت في مصر" بوصفه مدخلا لما كان يتصوره "پاک آيين" قاسما مشتركا بين إيران الشيعية ومصر السنية. والثانية نشرتها بتاريخ ١٨ من نفس الشهر، بعنوان: "مكانة التشيع في مصر المعاصرة"، وهو الذي نقب فيه عن بعض الحوادث التاريخية المتناثرة في بطون بعض كتب التراث كي يستخرج منها شواهد منتقاة بعينها، كي يتم الاستناد إليها في عملية التأصيل لوجود المذهب الشيعي في مصر، منذ دخول الإسلام إلى مصر. ثم أعادت صحيفة اطلاعات نشر نفس الموضوع في مايو من العام ١٩٩٦م، تحت عنوان آخر، حمل دلالة أوضح للتعبير عن هدف إيران من مسألة

التقريب مع مصر، هو: "محبة أهل البيت؛ هي حلقة الوصل بين مسلمي مصر وإيران". كما أدلت صحيفة جمهوري إسلامي بدلوها أيضا عندما أعادت نشر ذات المنطلقات التي استند إليها "پاک آيين" لتعزيز العلاقة مع مصر من باب التقريب، في موضوعين مماثلين، الأول بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٩٥م، تحت عنوان "الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية"، بينما نشرت الثاني بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٩٦م، تحت عنوان "مبدأ الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية"[vi].

وحقيقة الأمر أن "محسن پاک آيين" حاول في دراساته تلك، التي روجت لها الصحف الإيرانية، بلورة مشروع شيعي في مصر، يمكن للأجهزة المعنية في بلاده البناء عليه والتوسع فيه على مراحل. وتتلخص فكرة هذا المشروع في أنه يمكن الانطلاق استنادا على بعض الشواهد التاريخية الدالة على أصالة الوجود الشيعي في مصر، من قبيل التركيز على أن الشيعة الإسماعيلية هم من أسسوا القاهرة مدينة الألف مئذنة، وهم أيضا من شيدوا الجامع الأزهر. وأن التفاهم بين السنة والشيعة الذي اتخذ طابعا رسميا في مصر بموجب فتوى الشيخ شلتوت يمثل منطلقا مواتيا لتقبل دعوة إيران للتقريب. وأن انتشار الفرق الصوفية بكثرة في بعض مدن صعيد مصر وتحديدا في ملوي وأخميم وفرشوط وقنا وأسوان يمثل حاضنة روحية لنشر المذهب الشيعي في المجتمع المصري. ناهيك عن الدواعي الأخرى التي أوردها "پاک آيين" لنجاح فكرة مشروعه، والتي ذكر منها حب المصريين المعروف عنهم لآل البيت وحرصهم على زيارة مقاماتهم، الكثيرة مثل الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة ﷺ، إلى جانب كثرة المؤمنين بفكرة التقريب بين المذاهب وعلى رأسهم جماعة الاخوان المسلمين. وختم الرجل دراسته بالقول: "إن تنامي أفكار التقريب في مصر باتت أمراً لا يمكن تجاهله؛ خاصة أن العلماء والمفكرين في مصر، يسعون في حركتهم الجديدة، لإحياء الإسلام الصحيح". واستدرك قائلا: "إن التقريب في مصر لو تم توجيهه نحو الاتجاه الصحيح فسوف يمثل في المستقبل دعما قويا للوحدة السياسية والروحية للعالم الإسلامي"[vii].

وقد تكفل الكاتب الصحفي الكبير "إبراهيم نافع" رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام ورئيس تحرير صحيفة الأهرام، بالرد علي "پاک آيين" بمقال رصين نشرته الأهرام بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٩٥م، سنكتفي هنا بذكر عبارة واحدة منه كانت هي الكاشفة حين تهكم بقوله: "إننا لا ندري بالطبع ما هو هذا الاتجاه الصحيح الذي يجب على المفكرين والعلماء المصريين أن يسلكوه؛ حتى ينالون رضا هذا المسئول الإيراني وأمثاله". وهي عبارة عكست مدى فهم الكاتب لنوايا إيران الحقيقية من وراء التقريب وهي نشر التشيع في المجتمع المصري المتسامح بفطرته والمحب لآل البيت بطبيعته. كما حمل رسالة تنبيه لطهران في حال تكرار تحايلها أو التفافها مرة أخرى باستخدام عناوين مخادعة؛ بأنها لن تفلح مطلقًا في تحقيق غاياتها، ولن تنطلي على المصريين مثل هذه الألاعيب[viii].

وقد انكشفت تلك النوايا الإيرانية بصورة أكبر، عندما نشرت صحيفة الأهرام في صدر صفحتها الأولى يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م، التفاصيل التي أعلنها اللواء "حسن الألفي" وزير الداخلية عن ضبط الأجهزة الأمنية لتنظيم شيعي جديد. تحت عنوان: "جهاز مباحث أمن الدولة أحبط مُخطط تدعمه إيران.. القبض على ٥٦ من قيادات التنظيم الشيعي في خمس محافظات". وذكرت الصحيفة أن جهاز مباحث أمن الدولة استطاع كشف أبعاد المخطط الشيعي لنشر فكر الثورة الإيرانية داخل مصر. وأنه نجح في رصد واختراق تحركات هذا التنظيم السرية، التي كانت ترمي إلى تكوين المجموعات الشيعية بمراكز أنشطتها السرية "الحسينيات"، والعمل على تجنيد عناصر جديدة وتلقينهم المفاهيم الشيعية؛ تمهيداً لدفعهم إلى إيران لتلقي دورات تدريبية عالية. وأن تحركات هذا التنظيم استهدفت تشكيل ما يسمى بالمجلس الشيعي الأعلى لقيادة الحركة الشيعية في مصر، وإغراق البلاد بالمطبوعات وأشرطة الكاسيت التي استهدفت الترويج للفكر الشيعي والتحريف في ثوابت الدين الحنيف؛ بهدف تفريق الأمة الإسلامية. مثل زواج المتعة، وعدم إقامة صلاة الجماعة، وإضافة عبارات طائفية إلى الأذان ومبدأ دفع الخمس[ix]

ثم نشر الأهرام أيضًا، بعد أسبوعين، متابعة صحفية للموضوع، تحت عنوان: "نتائج التحقيقات مع أعضاء التنظيم الشيعي .. إيران ودول أخرى أرسلت أموالا للمتهمين لنشر فكرهم في المحافظات". وقالت إن تحقيقات نيابة أمن الدولة كشفت عن أن التنظيم الشيعي تلقى أموالا من عدة دول، من بينها إيران؛ بهدف نشر الفكر الشيعي في القاهرة والجيزة والدقهلية والشرقية وبتوجيه من المراجع الشيعية في إيران وبتخطيط من الحرس الثوري. وأن المتهمين حاولوا استغلال معرض القاهرة الدولي في تهريب الكتب الشيعية داخل رسائل الكتب الواردة من الخارج، التي كان سيتم عرضها بالمعرض تفاديا لكشفها في الموانئ والمطارات. واستدركت الأهرام بالقول إن المستشار "هشام سرايا" المحامي العام لنيابة أمن الدولة أمر بحبس المقبوض عليهم ١٥ يوما على ذمة التحقيق، موضحة أن عددهم ٤٥ متهما، وليس بالعدد الذي سبق أن أعلنته من قبل، وذلك بتهم: الانضمام إلى جماعة غير مشروعة الغرض منها الدعوة إلى تعطيل أحكام الدستور، ومنع السلطات من ممارسة أعمالها، وضرب الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، واستغلال الدين لإثارة الفتنة، والازدراء من أحد الأديان السماوية[x]ومن جانبها ذكرت مجلة روز اليوسف أن معظم المتهمين في هذه القضية (رقم ٩٦/٨٦١ أمن دولة عليا) كانوا ممن سبق اتهامهم في قضايا مماثلة من قبل، من بينهم المتشيعون: الشيخ "حسن شحاته" إمام مسجد كوبري، ومحمد أبو العلا، وحسين الدرغامي. وأشارت المجلة إلى أن السطات المعنية قامت

أيضا بإغلاق داري نشر "البداية" و"البلاغة" اللتين كانتا مكلفتين بنشر كتب المذهب الشيعي في مصر. [xi]

ورفي المقابل، كتب "محمد علي أبطحي" مقالا غاضبا تحت عنوان: "مواجهة التشيع في مصر هو مواجهة مع تاريخ مصر" بصحيفة جمهوري إسلامي، بعد مُضي أربعة أيام فقط من إعلان القاهرة عن القضية، وذلك ردا على إجراءات أجهزة الأمن المصرية في هذا الشأن. إذ عبر "أبطحي" في هذا المقال عن مدى إصرار إيران على تحقيق أهدافها، قائلا: "لقد أصبح هناك واقع جدي في مصر اليوم، وواقعية ذات أصول تاريخية تضرب بجذورها في قلب الشعب المصري". واستطرد قائلا: "تشير الصدامات المريرة التي جرت مؤخرا بين السلطات المصرية والشيعة هناك واعتقال عدد كبير منهم، إلى أنهم يريدون عزل حالة التشيع في مصر عن الشعب". ثم عقب بنبرة معاندة بقوله: "إنهم لو أدركوا جيدا أنه ليس بإمكانهم حذف جزء من تاريخ مصر واحترموا عقائد هذا الجزء الأصيل من شعبهم، لما أقدموا على القيام بهذه الأعمال الاستفزازية". ثم ختم "أبطحي" مقاله الغاضب متحديا السلطات المصرية، بقوله: "إن الشيعة في مصر ليسوا حزبا أو تيارا سياسيا، بل إنهم ينتمون إلى مذهب واضح في مصر منذ صدر الإسلام، حتى قبل أن تصبح إيران شيعية. ولذا فإنهم كما لم يتلاشوا قديما رغم الضغوط العباسية والأيوبية، فإنهم لن يتلاشوا اليوم أيضا مهما اشتدت الضغوط وتوسعت الاعتقالات"[xii].

كذلك نشرت الصحف لإيرانية تصريحات المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الدكتور "محمود محمدي"، التي أصدرها يوم ١٩ يناير ١٩٩٧م، ردا على تصريحات وزير الداخلية المصري، والتي جاءت متسقة والنهج الإيراني المعتاد في مثل هذه المواقف، من قبيل تُصنف كل من يتصدى لمخططات طهران ويكشف أهدافها بالوقوف في صف إسرائيل المعادي، وأن اتخاذ أي إجراء ضد هذه المخططات يصب في صالح الكيان الصهيوني. وقد عبر هذا التصريح مدى إصرار إيران على المغالطة المتعمدة بالتفريق بين "الشعب المصري المسلم" المستضعف، الذي طالما وقف "دائما في مقدمة خط المواجهة مع الصهيونية"، وبين النظام المصري المستكبر. كما حاول المتحدث الرسمي تصوير الخلاف مع مصر حول هذه القضية، على أنه "صراع" داخلي بين الحكومة المصرية وبين ما أسماهم "المعارضة الإسلامية" بقوله: "إن وزير الداخلية المصري يهدف إلى اختزال المعارضة الإسلامية لنظام بلاده في مجرد مجموعة شيعية، للإيحاء بأن المعارضة لهذا النظام ليست معارضة جماعية شاملة". وذكر أيضا أن "تقسيم المسلمين إلى فرق مختلفة يمثل مؤامرة تناهض التضامن الإسلامي، وأن أي ظلم يقع على هؤلاء المسلمين هو إضرار بالمجتمعات الإسلامية، لصالح تعزيز مواقف النظام المحتل للقدس". ثم ختم المتحدث الرسمي تصريحاته بالقول: "إن الشعب المصري المسلم لم يقبل مطلقا بالتسوية مع الصهاينة؛ ولذا فإن هذا النوع من

التصريحات المصرية المثيرة للفرقة، ما هي إلا وسيلة للتغطية على تجميد مخطط التسوية مع إسرائيل، وهو مخطط لا محصلة منه ولا نتيجة"[xiii].

وأمام الإصرار الإيراني على نشر المذهب الشيعي في مصر، راحت الصحف والمجلات المصرية الكبرى مثل الأهرام والأخبار، ومجلة روز اليوسف، منذ ذلك الوقت وحتى نهاية عهد الرئيس مبارك، تلعب دورا بالغ الأهمية في توعية الرأي العام بمخاطر التحركات الإيرانية وأهدافها. ونظرا لكثرة ما تناولته من موضوعات وأخبار وتحليلات رأي في هذا الشأن، لا يتسع المجال هنا لذكرها جميعا، فسوف نكتفي هنا بالإشارة فقط إلى ذلك الملف المتكامل الذي نشرته مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٤م، إذ تصدرت غلافها الخارجي عناوين حملت دلالات التنبيه الشديد إلى حجم الخطر الإيراني على المنطقة، نصها: مؤامرة إيران وقنبلة الملك عبد الله" .. "مخطط لإقامة هلال شيعي من اليمن إلى لبنان"، "الملف الأسود للحرس الثوري". والذي استعرضت فيه تحذير الملك الأردني عبد الله الثاني، خلال حديثة لصحيفة "واشنطن بوست" Washington (Post) الذي كشف فيه المخطط الإيراني الخطير الذي يهدد بتمزيق العالمين العربي والإسلامي. ثم علقت مجلة روز الوسف على ذلك بقولها إن ذلك ما كان ليحدث إلا بعد أن ربحت إيران من محصلة الغباء الأمريكي بغزو العراق، اللهم إلا إذا كان الغباء الأمريكي مقصودا؛ فلقد أدى هذا الغزو إلى هيمنة الحرس الثوري والمليشيات الشيعية والإيرانية على هذ البلد العربي بالكامل. ثم حذرت المجلة بأن استمرار الوضع في العراق على هذا النحو ينذر بتداعيات خطيرة على استقرار منطقة الخليج كلها، خاصة في ظل سعي الحرس الثوري الدائم لشق دولة البحرين إلى نصفين، بعد نجاحه في اختراق صفوف أتباع المذهب الزيدي في اليمن وتجنيد الحوثيين لصالح إيران[xiv].

كما قدمت الدكتورة "فاطمة سيد أحمد" في ذات العدد من روز اليوسف، تقريرا مفصلا حول جهود إيران لتنفيذ مخططها لإقامة الهلال الشيعي، وكيف أنها استخدمت الجماعات الشيعية في المنطقة لإثبات سطوتها وإثارة القلاقل فيها. واستعرضت وسائلها لطمس الهوية العربية لشيعة الخليج العربي وتأليبهم على حكام أوطانهم. بينما راحت كاتبة أخرى، هي "مرفت الحطيم" تستعرض دور الحرس الثوري الإيراني في تصدير الثورة، وزعزعة أمن واستقرار الدول العربية، عبر تواجد عناصره ضمن أطقم عمل السفارات الإيرانية بالخارج، وكيف أن هذه العناصر تمكنت من تجنيد العملاء في الخارج، ولعبت دورا رئيسيا في دعم الجماعات الإرهابية في كل من مصر وتركيا والشيشان[xv].

وعلى كل حال، فقد تميز الموقف المصري المناهض للراديكالية الشيعية في مصر

والمنطقة العربية بالثبات والاستمرار، حتى بعد سقوط حسني مبارك. الذي عُرف بحزمه في مواجهة المخططات الإيرانية، ولعلنا نذكر تصريحاته الكاشفة التي أدلى بها لقناة العربية، في أبريل عام ٢٠٠٦م، والتي عبرت عن مدى قلق مصر من خطورة التحركات على المنطقة العربية؛ وأثارت استنكارا واسعا في طهران وبغداد؛ والتي أكد فيها على أن ولاء أغلب الشيعة في المنطقة هو لإيران، لا سيما شيعة العراق، بقوله: "بالقطع إيران لها ضلع في الشيعة، الشيعة ٦٥ بالمئة من العراقيين وهناك شيعة في كل هذه الدول وبنسب كبيرة والشيعة دائما ولاؤهم لإيران .. أغلبهم ولاؤهم لإيران وليس لدولهم"[xvi]. كما نذكر هنا أيضا موقف الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحالي الدكتور "أحمد الطيب" الذي عبر عن ثبات موقف مصر إزاء ما تحيكه إيران للمنطقة، وذلك من خلال البيان الذي تلاه نيابة عنه الشيخ "حسين الشافعي" مستشار شيخ الأزهر، يوم ٥ فبراير ٢٠١٣م، في حضور الرئيس الإيراني"محمود أحمدي نجاد" (١٠٠٥ . ٢٠١٣م) عقب اللقاء الذي تم في القاهرة بينه وبين شيخ الأزهر، وجاء فيه إن الإمام الأكبر "طالب الرئيس الإيراني باحترام البحرين كدولة عربية شقيقة، وعدم التدخل في شؤون دول الخليج"، وأنه "بصفته يطالب بأن يكون ولاء أهل البحرين للوطن". وأن فضيلته أكد للرئيس الإيراني أيضا على أن الأزهر "يرفض المد الشيعي في بلاد أهل السنة والجماعة". مؤكداً على أنه أمر بالغ الخطورة، وأن مصر كانت ولاتزال معقلاً لأهل السنة والجماعة، وأن الأزهر الشريف يرفض رفضاً قاطعاً جميع محاولات نشر التشيع بين أهل مصر وشبابها. وأن "الأزهر شارك في عدد من مؤتمرات الوحدة الإسلامية وأنها جميعا كانت تصب في مصلحة الشيعة الاثني عشرية"[xvii].

مناهضة الجماعات الأصولية المتطرفة

كانت مساندة إيران للجماعات الأصولية المتطرفة التي انتهجت العنف والإرهاب، ومناهضة مصر لها تمثل مساجلة حامية بين طهران القاهرة على المستويات كافة، فكم من مرة وجه الرئيس مبارك لإيران تهمة تصدير الإرهاب إلى مصر والعالم العربي، وكم طالبها بالكف عن ذلك في مناسبات كثيرة، وخاصة طوال التسعينات من القرن العشرين تحديدا التي تعرضت فيها مصر والجزائر للإرهاب على يد هذه الجماعات. وفي كل مرة كانت القاهرة توجه لطهران تهمة رعاية الإرهاب، كانت طهران تزود عن نفسها بهجوم إعلامي ورسمي شرس، الأمر الذي كان يلقى رد فعل مصري مماثل له، للدرجة التي يمكن القول معها إن الحملات الإعلامية المتبادلة بين الجانبين كانت من بين أسباب إغلاق مكتب رعاية المصالح الإيرانية في القاهرة، وطرد القائم بالأعمال، وسحب نظيره المصري من طهران في يوليو ١٩٩٢م[xviii].

لقد كانت مصر تدرك أن مساندة إيران لجماعات العنف والإرهاب تمثل جزء من آليات إيران لتصدير ثورتها، كما كانت تدرك أيضا أن

جانبا من مسئولية ترسيخ قناعات مناهضة هذه الجماعات لدى الرأي العام يقع على عاتق وسائل الإعلام، وهو ما تكفلت به بشكل دائم وواضح. ونظرا لأن المجال لا يتسع هنا لتناول كل ما قدمته في هذا الشأن؛ فإننا سنكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج للتدليل على شراسة المجابهة المصرية للتوجهات الإيرانية الراعية للعنف والإهاب.

إذ كتب الأستاذ إبراهيم نافع مقالا رصينًا بجريدة الأهرام في ٢٠ أكتوبر ١٩٩٥م، تحت عنوان: دفاعا عن مصر لا عن الصحافة المصرية .. هل ظلمنا إيران حقا حين اتهمناها بتصدير الثورة وفرض الهيمنة"؛ برهن فيه على منطقية اختياره هذا العنوان لمقاله؛ من حيث إن إيران هي التي قدمت الدعم والمساندة للتنظيمات الأصولية المتطرفة في المنطقة، وإنها هي التي أقامت علاقة تنظيمية مع العناصر والحركات الإرهابية في كل من باكستان وأفغانستان، فضلا عن اتخاذها الأراضي السودانية قاعدة لتدريب العناصر الإرهابية برعاية الحرس الثوري، وكونت محورا مع الجبهة القومية الإسلامية منذ استيلائها على الحكم في السودان، عام ١٩٨٩م، برئاسة عمر حسن البشير على التخوم الجنوبية للعالم العربي. ناهيك عن دعمها ومساندتها لجبهة الإنقاذ في الجزائر طيلة عمليات العنف الدموي التي كانت شهدتها البلاد منذ ١٩٩٢م، وختم الأستاذ إبراهيم نافع مقاله المذكور بالقول إن سياسة إيران تقوم على إذكاء عوامل الصراع والفرقة بين الدول العربية أكثر مما تسعى إلى توطيد أواصر التعاون معها[xix].

وفي هذا السياق، نشرت أيضًا جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٩٧م، خبرًا تحت عنوان: "إيران تتآمر ضد مصر وتدعم الإرهاب من إحدى سفاراتها بالخارج"، نقلت فيه تصريحات اللواء حسن الألفي وزير الداخلية، التي أعلن فيها الكشف عن قيام إيران بدور تآمري ضد مصر، من خلال سفارتها بالخارج، مشيرًا إلى أن السودان في ظل حكم الجبهة القومية الإسلامية، كان يأوي قيادات تنظيم الجهاد الإرهابي وعناصره، بينما وفرت لهم إيران الدعم المادي والمعنوي المستمر. وأضافت صحيفة الأخبار على لسان الوزير حسن الألفي أن أجهزة الأمن رصدت بؤر لتنظيم الجماعة الإسلامية بإحدى الدول الأوربية، كما تتابع أيضا تحرك قيادات تنظيم الجهاد الإرهابي المتمركزة بإحدى الدول الأوربية التي كانت تنوي تنفيذ عمليات إرهابية على الساحة الداخلية[xx].

وردا على تصريحات اللواء حسن الألفي، نشرت في اليوم التالي صحيفة جمهوري إسلامي المقربة من مكتب المرشد الأعلى للثورة الإسلامي، مقالها الافتتاحي تحت عنوان: "العودة إلى أحضان الشعب هو السبيل الوحيد لنجاة نظام القاهرة" اعتبرت فيه تصريحات وزير الداخلية المصري دليلا على فشل سياسات

القاهرة الأمنية، زاعمة أن "الشعب المصري يدرك أن اتهام إيران بهذا الشكل المتكرر لم يعد ينطلي عليه، ومن ثم لا يعطي لها بالا. كما أن هذه التصريحات لا تعني بالنسبة لإيران أكثر من كونها أباطيل وأحقاد من نظام كامب ديفيد (Camp David) العميل والمأجور على الإسلام والثورة الإسلامية". ثم توعدت الصحيفة المذكورة القاهرة بأن "عليها أن توقن أن الإطاحة بنظامها بات وشيكا على يد المقاومة الإسلامية التي تزداد قوتها عزيمتها يوما بعد يوم، اللهم إلا إذا تحلت القاهرة بالشجاعة وعادت إلى رشدها ورجعت إلى أحضان الشعب المناضل[xxi]

وخليق بنا أن نشير هنا إلى "جمهوري إسلامي" لم تكن هي الصحيفة الوحيدة المقربة من مكتب المرشد الأعلى للثورة الإسلامي والتيار المحافظ، بل كانت صحيفتا "كيهان" و"اطلاعات" تشاركانها الذود عن أيديولوجية النظام في الداخل، ومساندة الجماعات الأصولية المتطرفة في الخارج، ومن ثم شن الحملات الإعلامية المنظمة ضد مصر

ولعل من كان يطالع عناوين الأخبار والتعليقات والتحليلات والمقالات والتحقيقات التي كانت تتصدر هذه الصحف ومتابعاتها الإخبارية، كان سيدرك من فوره حجم الدعم والمساندة التي كانت تتلقاها الجماعات الأصولية من إيران، نذكر منها مثلا عنوان موضوع كتبته صحيفة جمهوى إسلامي، بتاريخ ٨ يناير ١٩٨٦م، نصه: "حان وقت صيحة الإسلام في مصر"[xxii]، وآخرا كتبته صحيفة اطلاعات بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٨٥م، بعنوان: "مصر، إحياء الشريعة الإسلامية لاستئصال الفساد الغربي"[xxiii].

إن التبصر في الحقل الدلالي لمفردات مثل هذه العناوين، أو بنيتها التركيبية، سواء كانت جملة اسمية أو فعلية، يبرهن على أنها مفردات كانت تشي بحقيقة الأهداف الإيرانية الرامية إلى ترسيخ قناعات تدخلها في الشئون الداخلية للدول الأخرى، لدى الرأي العام الداخلي، خاصة أنها نقلت معانٍ صريحة ومباشرة لا تحتمل التأويل. كما كانت تبرهن أيضا على صحة الاتهامات المصرية لإيران بمساندة الجماعات الإرهابية في مصر والعالم العربي. لاسيما أن هذ المفردات كانت تصور لمخيلة المتلقي أن ثمة صدامًا محتدمًا أو قتال كان مستمرًا . حسب زعم هذه الصحف . بين طرفي نقيض في مصر، طرف شرير كان يمثله "الطاغوت" الذي يجسده "نظام مبارك" المستكبر، وطرف خيّر كان يمثله "المسجد" الذي يمثله "الإسلاميون" "المستضعفون" وبما أن هؤلاء المستضعفين كانوا "ثوار"، و"مناضلين"؛ فالأدعى أن يهب "ولي أمر المسلمين" أي المرشد الأعلى للثورة الإيرانية إلى التدخل، بحكم الدستور الإيراني، إما لنصرة هؤلاء المستضعفين وتخليصهم من براثن هذا "النظام الفرعوني"، أو القيام بالوساطة بين هذين الطرفين.

وبعبارة أخرى، استهدفت الصحف الإيرانية، من خلال العناوين الدالة، بناء صورة ذهنية للمجتمع المصري مفعمة بعوامل الانقسام السياسي والصدام الداخلي . "صدام بين الشعب

ونظام حكمه"ـ الذي يقف على طرفه الأول "نظام مبارك" الرابض على البلاد في هيئة "المستكبر"؛ وما تولده تلك الصورة من معاني الظلم والقمع. بينما تقف على طرفه الآخر الجماعات الأصولية "المستضعفة"، بكل ما تجسده من معاني "المظلومية" و"النضال".

أما بالنسبة للطرف الأول في هذه الصورة الذهنية، فنذكر على سبيل المثال وليس الحصر، بعض العناوين التي كرست لصورته في مخيلة المتلقي، منها: "النظام المصري والحرب ضد المساجد والإسلام"[xxiv]، و"اشتداد نضال الشعب المصري المغلوب على أمره ضد نظام مبارك"[xxv]، و"جماعة إسلامية جديدة تدعو العسكريين المصريين للثورة على مبارك"[xxvi]، دعوة المسلمين المصريين للثورة المسلحة على نظام مبارك" (جاء هذا العنوان تحديدا ضمن إشادة الصحف الإيرانية بالبيان الذي أصدره تنظيم الطلائع في مطلع فبراير ١٩٩٧م، ليعلن تحالفه مع تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية، قبيل عيد الفطر. وكم كان احتفاؤها بالغا بالعبارة التي وردت بهذا البيان، وتوعد فيها التحالف "الإسلامي" "الولايات المتحدة ونظام حسني مبارك بالجهاد ضدهم حتى قيام الحكم الإسلامي في مصر)[xxvii]. و"مبارك ومعارضوه ينقلون المعركة بينهم إلى خارج الحدود"؛ (جاء هذا العنوان تعليقا على العملية الإرهابية التي نفذتها جماعة الجهاد المصرية ضد السفارة المصرية بباكستان في ١٩ نوفمبر عام ١٩٩٥م)[xxviii]. و"مبارك يقمع المعارضين له بتوجيهات من أمريكا"[xxix]، و"شرطة نظام مبارك تعتقل زعيم الجهاد المصرية" (للإشارة إلى اعتقال السلطات المصرية للإرهابي "هشام عباس" على الحدود المصرية الليبية، والذي حاول إحياء تنظيم طلائع الفتح في مصر)[xxx]. و"اعتقال ٣ آلاف ثوري مسلم في مصر"[xxxi] و"المحاكم العسكرية في نظام مبارك تدين بالإعدام ثلاثة من أعضاء الجماعة الإسلامية بمصر"[xxxii]. و"مصر تطالب بقيام تحالف دولي لمجابهة المناضلين المسلمين"[xxxiii] و"قتل المسلمين في أرض مصر الإسلامية"[xxxiv]

وفيما يتعلق بصورة الطرف الثاني، التي تخص الجماعات الأصولية، فقد كرست عناوين الصحف الإيرانية، لها كل قيم الاستشهاد وصور المظلومية المهمة في عقيدة الجمهورية "الإسلامية"، منها ما أوردته صحيفة جمهوري إسلامي نصا: "استشهاد خمسة ثوار مسلمين على يد شرطة نظام مبارك"[xxxv]، و"استشهاد ثمانية إسلاميين مصريين على يد شرطة نظام مبارك"[xxxvi]، و"تنفيذ حكم الإعدام في ست ثوار مسلمين في مصر"[xxxvii]. ومنها ما أوردته صحيفة اطلاعات، ولكن بسقف طموحات أعلى، وسأكتفي بعنوان موضوع واحد نشرته في أبريل من عام ١٩٩٦م، تحت عنوان: "انهيار المجتمع المصري .. نتيجة مواصلة الضغط على التيارات الإسلامية"[xxxviii].

وتحت عنوان: "مبارك، الرعب من واقع المجتمع المصري، راحت صحيفة جمهوى إسلامي في عددها الصادر بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٩٦م، تنتقد مناهضة مصر للجماعات الأصولية المتطرفة "الثوار المسلمين" وقالت إن "المحاكمات العسكرية التي يتعرض لها الشباب المسلم من جماعات الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة، حتى جماعة الاخوان المسلمين التي أعلنت نبذ العنف، وكذلك التعذيب الذي يلقونه في السجون سيجعل مصير مبارك مثل مصير سلفه السادات". وأن "سياسات مبارك الاقتصادية، هي سياسة قائمة على استجداء المساعدات الأمريكية، جعلت الفقراء أكثر فقرا، والأغنياء أكثر غنى. وأن مصر لم تجن من كامب ديفيد، بعد مضي أكثر من ١٧ عاما، إلا مزيدا من تغلغل الجواسيس والعملاء الإسرائيليين داخل أركان ومؤسسات الدولة في مصر"[xxxix].

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية حظيت بعناية خاصة من الصحف الإيرانية؛ على اعتبار أنها فرضت سياقا ثقافيا وفكريا في المجتمع يمكن أن يمثل حاضنة لتعزيز القناعات الشعبية بأن النظام الإسلامي هو الحل لجميع معضلات الدولة ومشكلاتها. وكم من كاتب إيراني انبرى للدفاع عن فكر هذه الجماعة وكيانها، نذكر منهم مثلا "محمد هادي الخفاجي" الذي كتب موضوعاً بجريدة "كيهان العربي" بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٩٧م، بعنوان: "ديمقراطية الفراعنة في الميزان: النظام المصري ينقلب على حركة الإخوان المسلمين ويُشهر سلاح الطائفية"، قال فيه إن الجماعة تتعرض لحملات تضييق من جانب السلطات المصرية في عهد مبارك؛ الذي لا يختلف كثيرا عن سلفيه ناصر والسادات، إلا بفرض قانون الطوارئ؛ "منذ اغتيال الرئيس أنور السادات على يد المجاهد المصري خالد الإسلامبولي؛ على إثر زيارته للقدس وخيانته المشهورة". ثم تساءل "خفاجي" لماذا يشدد النظام المصري خناقه على الإخوان المسلمين، وهي التي لم تتبنى الكفاح المسلح لتغيير الوضع السياسي في مصر، على غرار ما تقوم به جماعة الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية "التي تتبنى الرد الجهادي على عنف النظام". زاعما أنها تتعرض لاتهامات تتراوح ما بين التحريض ضد الأقباط، والتآمر على قلب نظام الحكم. ومن ثم راح الكاتب ينافح عنها بنبرة معبرة عن أيديولوجية نظام بلاده بقوله: "إن هذا التضييق وهذه الإجراءات لن تُفلح في اقتلاع الإخوان من المجتمع المصري؛ خاصة في ظل الصحوة الإسلامية التي يشهدها، وفي ضوء "النموذج الإسلامي الرائع في إيران" الذي يلهم حماس الأمة ويعطيهم زخما متواصلا لتطبيق الإسلام. ثم نوه، في الختام إلى أهمية أن تنتبه الجماعة لنفسها وتحذر من محاولات "تقويض حركتها وتشتيت قوتها وتحطيم بنيتها التنظيمية[xl]

وفي هذا السياق، عالجت الصحف الإيرانية موضوعين ارتبطا ارتباطا وثيقا بما سبق ذكره، بأسلوب جسد ثنائية الاستضعاف والنضال في المخيلة الإيرانية، عن الجماعات الأصولية

المتطرفة. الأول هو معالجة محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها الرئيس مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥م، والتي انتهزتها فرصة مواتية للدفاع عن الجماعة الإسلامية، ودفع التهمة عن نفسها، وعن نظام جبهة الإنقاذ في السودان. على الرغم من ضلوع هذه الجماعة، وتورط نظام الخرطوم فيها، بل وتواطؤ طهران معها. والموضوع الثاني هو فيلم "إعدام فرعون" الوثائقي الذي سبق أن أنتجته قناة الجزيرة القطرية بعنوان "اغتيال السادات" وأعادت إنتاجه لجنة إيرانية خاصة، تنتمي إلى التيار المحافظ، تسمى اللجنة الثقافية التابعة لـ "لجنة تكريم شهداء الحركة الاسلامية العالمية" بهذا العنوان الدال على مساندة إيران لجماعات العنف والإرهاب.

وقد حظيت محاولة اغتيال مبارك باهتمام بالغ من الصحف الإيرانية، منذ الوهلة الأولى للإعلان عنها، إذ تجلى هذا الاهتمام في صورة تغطية خبرية مستمرة لتطورات الحدث، وتعليقات وتحليلات خبرية متنوعة حول ملابساته دوافعه وتداعياته[xli]. واللافت في هذه المعالجة أنها تمت من باب الربط التعسفي لتلك المحاولة بما زعمت أنه نتيجة لممارسات السلطات المصرية ضد الجماعات الإسلامية. كما أدخلتها في باب المؤامرة الأمريكية الصهيونية التي استهدفت الزج بالسودان فيها بغرض تضييق الخناق عليه؛ بعد أن أمسى حليفا لطهران في شرق افريقيا.

وسوف نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض العينات التي نُشرت في هذا الشأن، فعلى سبيل المثال، كتب "حشمت الله فلاحت پيشه" في صحيفة "رسالت" بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٩٥م، موضوعاً بعنوان: "الموساد تُدبِر محاولة اغتيال مبارك"، طرح فيه فرضياته حول الأطراف المتهمة في هذه العملية، بقوله إما إنها طلائع الفتح، أحد أفرع الجماعة الإسلامية، أو السودان، أو إيران، أو النظام الصهيوني. وبطيعة الحال، فقد نفى الكاتب فرضية تورط جماعة فتح الإسلام؛ زاعما أن "أحد أعضاء هذا التنظيم ذكر، في اتصال هاتفي مع إحدى وكالات الأنباء العالمية، إنه على الرغم من سعادة الجماعة بأي محاولة اغتيال يتعرض لها مبارك، إلا أنه لا يبدو أن لنا أي ضلوع في هذه المحاولة". هكذا ودون أن يسمي الكاتب وكالة الأنباء، ولا اسم العنصر الإرهابي الذي اتصل بها. كما نفى التهمة أيضا عن الحكومة السودانية؛ على اعتبار أن اتهامها يدخل في باب "المتآمرين الأجانب الذين يستغلون الخلافات بين الدول الإسلامية والعربية" للوقيعة بينها. أما فيما يخص إيران، فقد قال الكاتب إن اتهام بلاده صدر من اسرائيل، وإنه يأتي ضمن الاتهامات التقليدية التي اعتادت إيران عليها، شأنها في ذلك شأن اتهامات أخرى مماثلة وجهتها تل أبيب إليها عقب حوادث تفجير المركز اليهودي بلندن، وتفجيرات "بيونيس آيرس" و"أوكلاهوما سيتي" وهي اتهامات زعم

الكاتب أنها "ادعاءات كاذبة"، وتأتي في إطار محاولة النظام الصهيوني التغطية على تورط الموساد في اغتيال مبارك[xlii].

كما كتب "سعيد خاكرند" في صحيفة كيهان مقالا بعنوان "أبعد من حلايب" زعم فيه أن "العلاقات بين مصر والسودان، في ذلك الوقت، كانت تُعد مؤشرا على طبيعة العلاقات السودانية الغربية؛ على اعتبار أنه "كلما توترت علاقات مصر بالسودان، كلما توترت علاقة السودان مع الغرب والولايات المتحدة". وقد استدل "خاكرند" على هذه المغالطة وذلك القياس الفاسد، بقوله إن استعاد مصر لحلايب "لا يمكن أن تخرج عن الاستراتيجية الأمريكية العامة في مواجهة السودان" كما لا تخرج أيضا عن "محاولة النظام المصري لتصدير أزمته الداخلية إلى الخارج"[xliii]. واستكمالا لهذا المنطق المعوج، كتبت صحيفة جمهوري إسلامي بمقالها الافتتاحي موضوعا بعنوان: "القاهرة وسيلة الضغط الأمريكية على السودان" بررت فيه الصحيفة دفاع إيران عن السودان؛ انطلاقا من إيمانها أن هذا البلد "يحاول أن يتبنى سياسات مغايرة، بل ومتقاطعة مع سياسات نظيره المصري، المستمر في "تبعيته السياسية لأمريكا والصهاينة" في حين أن السودان يسعى إلى قطع تبعيته للأجانب، لاسيما الولايات المتحدة، الذين يستخدمون القاهرة وسيلة للضغط على السودان[xliv].

ولكي تستوفي هذه المعالجة الصحفية أركانها، أجرت صحيفة "رسالت" حواراً مع من السفير السوداني لدى طهران "قطبي المهدي" الذي لعب دورا مهما في تهريب المتورطين في عملية الاغتيال من طهران إلى مدينة بيشاور بجوازات سفر دبلوماسية سودانية، أبرزت فيه الصحيفة تأكيد هذا السفير على تماهي سياسة بلاده مع السياسة الإيرانية، حين قال: "إن حكام مصر ينظرون دائما إلى السودان على أنه مستعمرة لهم، ونحن في صراع مع الاستكبار العالمي والتوسع الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط". وبعد أن أشار إلى أن اتهامات مبارك لبلاده لا يقوم عليها دليل، قال: "حكام مصر دائما ينظرون للثورة الإسلامية نظرة شك وريبة؛ ولذلك فإنهم يعتبرون أن أي تعاون بين إيران والسودان يمثل تهديدا لهم". ومن ناحية أخرى، حصلت الصحيفة ذاتها على تصريح آخر مهم من الدكتور "محمود فرج" القائم بالأعمال المصري، أبرأ فيه ساحة طهران، بقوله: "مصر لم تتهم إيران بالضلوع في محاولة اغتيال مبارك"[xlv]. وهو تصريح عكس مدى حكمة الموقف الرسمي المصري حينئذ، ومدى إدراك صانع القرار لأبعاد الموقف؛ ومن ثم فإنه لن يسمح باستدراج طرف ثالث له، بغرض استغلال هذه الفرصة لاستعداء مصر ضد إيران، وإفشال أي محاولة لتطوير العلاقات الثنائية المتأزمة بينهما منذ زمن بعيد، وأنه موقف استطاع أن يتفهم أن إشادة بعض الصحف الإيرانية بهذه العملية الإرهابية، يأتي في إطار توازن القوى داخل إيران والخلافات السياسية داخل النخبة الحاكمة هناك[xlvi].

أما فيما يخص فيلم "اعدام فرعون" الذي عرض عام ٢٠٠٨م، بزعم توثيق ما قال عنه

منتجوه أنه "الإعدام الثوري للرئيس المصري الخائن على أيدي الشهيد خالد الإسلامبولي"، فقد أحدث أزمة مدوية في العلاقات بين القاهرة وطهران، للدرجة التي اضطرت معها طهران لتعلن أنه لا يمثل موقفها الرسمي؛ متعللة بأنه من أنتاج لجنة خاصة، سبق وأسسها التيار الأصولي المحافظ في ديسمبر عام ٢٠٠٣م، لإفشال محاولات الرئيس محمد خاتمي لتحسين علاقات طهران بالقاهرة[xlvii].

والغالب في تصورنا أن المشكلة، لم تكن في مادة الفيلم، بقدر ما كانت تكمن في تلك العبارات الفارسية التي ظهرت في مقدمته، ونظرا لأنها كانت تجسد ثقافة النظام الإيراني وقيمه المساندة للإرهابيين. إذ بدأ تتر البداية بعبارة: "إهداء إلى روح الشهيد الملازم خالد شوقي الإسلامبولي ورفاقه الشهداء".. "من انتاج لجنة تكريم شهداء الحركة الاسلامية العالمية" .. "إعدام فرعون"[xlviii]. ومن الواضح أن اللجنة المنتجة قد استوحت عنوان الفيلم من جملة وردت في نص الوصية، التي تركها خالد الإسلامبولي إلى شقيقته، قبيل قيامه باغتيال الرئيس السادات، وقرأها المعلق الصوتي للفيلم في الدقيقة ٢٨ من الشريط، نظراً لأنها كانت تتماهى تماما مع أيدولوجية النظام الإيراني وتوجهاته. وأرادت أن تصنع من هذا النص المقروء رسالة الفيلم الرئيسية، وهي: "إن الحاكم قد طغى وتجبر ولا خلاص للأمه إلا بقتله؛ إننا عقدنا العزم على قتل فرعون مصر؛ لعل الله ينقذها من الضياع في مصادقة الصهاينة وفساد الروح وخراب الذمم التي أرساها السادات وزوجته". وم ناحية أخرى فإن توظيف لفظ "إعدام" عنوانا للفيلم، حمله دلالة سياسية ذات مغزى، من حيث إنه نجح في استدعاء عمليات "الاعدام الثوري" التي كانت تنفذها كتائب الثورة الإيرانية في حق رموز نظام الشاه ورجالات دولته، كما لو كان خالد الإسلامبولي يُعد امتدادا مصريا لهذه الكتائب عندما نفذ حكم "الإعدام الثوري" في حق طاغية مصر وفرعونها.

وقد قوبل هذا الفيلم في مصر بردود فعل قوية على المستويات كافة؛ فقد أعلن مصدر مسئول بوزارة الخارجية، يوم ٧ يوليو ٢٠٠٨م، أن السفير "تامر خليل" مساعد وزير الخارجية للشئون الأسيوية استدعى رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية في القاهرة "حسين رجبي"، وأثار معه موضوع الفيلم الوثائقي الذي تناول اغتيال السادات، وحذره من أن هذا الفيلم يسئ للعلاقات بين البلدين. وأنه أكد للدبلوماسي الإيراني "أن مثل هذه الأمور لا تصح، ولا تدل بأي شكل على أن إيران تتفهم الحساسيات المصرية"، محذرا من إن الفيلم "يؤثر على أي تطور إيجابي للعلاقات المصرية الايرانية"[xlix]

كما أدان السيد "أحمد أبو الغيط" وزير الخارجية بشدة، يوم ١٩ يوليو ٢٠٠٨م، الفيلم المذكور واصفة إياه بأنه عمل "غير مسئول". وقال: "إننا ندين هذا الفيلم بأقوى لهجة ممكنة،

وقمنا باستدعاء القائم بالإعمال الإيراني وأوجهناه بهذا الأمر ... ونقول إن الإخوة في إيران يجب أن يتوقفوا عن هذه الأفعال التي تعكس عدم المسئولية". وأضاف أبو الغيط "إنه أمر حزين أن يسمح مجتمع إسلامي بأن تتم مهاجمة هذا الزعيم الوطني المصري الكبير"[i].

وأدانت لجنة الشئون العربية بمجلس الشعب الفيلم في بيان صدر لها يوم ١١ يوليو، اعتبرته إساءة بالغة لأحد رموز مصر، وتدخل في الشأن الداخلي، وتصرف غير مسئول يتنافى مع قيم الإسلام وتعاليمه وأبسط القواعد الدبلوماسية وحسن الجوار. كما أشار البيان أيضا إلى موقف مصر المشرف في دعمها لإيران أمام الضغوط والتهديدات التي تتعرض لها.. ورفضها للخيارات العسكرية التي كانت تلوح بها القوي الدولية ضدها[ii]. ومن جانبها، أعلنت عائلة الرئيس السادات أنها ستلاحق منتجي هذا الفيلم أمام القضاء[iii]. كما رفضه المثقفون والإعلاميون معتبرين أنه تجاوز مرفوض من إيران، وتوعدوا بإنتاج فيلم خاص بعنوان: "الخميني إمام الدم"[iiii]

وفي المقابل، أكد المستشار الاعلامي بمكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة "كريم عزيزي"، يوم ٧ يوليو، على أن التحقيقات التي أجرتها سلطات بلاده توصلت الى أن الفيلم من انتاج قناة الجزيرة الفضائية في الأساس، وسبق أن بثته على شاشتها عده مرات منذ سنوات، وليس من إنتاج إيران. وأنه فيلم غير رسمي؛ أي أنه لم يحصل على أي تصريح رسمي بالنسخ أو التوزيع من وزاره الثقافة والإرشاد الإسلامي. وأن لغة الفيلم الأساسية هي اللغة العربية، وأن ما قامت به الجماعة الإيرانية المنتجة للفيلم هو أنها ترجمته الي اللغة الفارسية من خلال كتابه الترجمة على الشاشة، ثم قامت بتغيير اسمه ووضع شعار هذه الجماعة عليه، بدلا من شعار قناة الجزيرة[iv]. غير أن مجلس الشورى المصري أصدر من جانبه بيانا فند فيه ما قاله "كريم عزيزي" مؤكدا أنه قول "لا يمكن قبوله بسهولة؛ لأن هناك خلطا دائما بين المواقف الرسمية وغير الرسمية في طهران، ولا يوجد لدى إيران ما يمكن أن تفخر به في مجال حرية التعبير". مشيرا الى قدرة الحكومة الايرانية على منع إنتاج الأعمال الفنية التي لا تتفق مع وجهة نظرها. وقد شدد البيان على اعتبار أنه "سلوك غير مسئول من بعض الجهات (الايرانية) يجب أن يتوقف فور." كما طالب بوقف عرض الفيلم لإثبات "حسن النية من الجانب الايراني في محاولاته لإعادة العلاقات الطبيعية مع مصر[v]

المبحث الثاني

العلاقات الثنائية بين القاهرة وطهران

عالجت الصحف المصرية والإيرانية تطور العلاقات الثنائية بين البلدين من منطلق تموضع كل منهما من القضايا الخلافية بينهما، وعلى رأسها قضية السلام. ولذا فقد خرجت هذه المعالجة في صورة اشتباك إعلامي وطيس، نال كل طرف من سمعته الآخر السياسية دوره الإقليمي. وقد تميزت تلك المعالجة بالحدة تارة وبالتروي تارة أخرى، على نحو كان يعكس مدى نجاح أو إخفاق محاولات التقارب أو التقريب بينهما. ولعل هذا ما يتضح عندما نعرض لمعالجة كل منهما على النحو التالي:

المعالجة الإيرانية:

حاولت بعض الأقلام الإيرانية، في إطار توجهات الرئيس هاشمي رفسنجاني (١٩٨٩ ـ١٩٩٧م) معالجة العلاقات مع مصر بمنطق غلب عليه لفت الانتباه إلى حجم المصالح الإيرانية التي قد تترتب على استئناف العلاقة معها، نذكر منها على سبيل المثال، ما كتبه "جعفر شهيدي" في مطلع يوليو من عام ١٩٩٢م، بجريدة "كيهان" والذي طرح فيه موضوع استئناف هذ العلاقات للحوار المجتمعي، بقوله: "إن القضية تكمن في الزاوية التي ننظر منها إلى هذه المسألة المهمة في سياستنا الخارجية، ومكانة مصر في استراتيجية إيران الإقليمية وسياساتها الدولية، ومدى ارتباطها بمصالح إيران وأمنها القومي". ثم استطرد قائلا: "لقد كان سبب قطع العلاقات مع مصر هو توقعيها لاتفاقية كامب ديفيد، التي أفضت بدورها إلى تحولات سياسية وعسكرية مهمة في منطقة الشرق الأوسط، أهمها قيام عدد كبير من الدول بإقامة علاقات مع النظام الصهيوني، تذرعاً بأن أصحاب القضية أنفسهم قد حلّو مشكلاتهم مع إسرائيل، وبالتالي فإن الإيرانيين ليسوا بأفضل من أصحاب القضية نفسها. وخروج مصر من دول المواجهة الذي قلص أي احتمال لنشوب حرب تقليدية كبرى أخرى بين العرب وإسرائيل، طبقا لرؤية "هنري كيسنجر" (Henry Kissinger) القاضية بأنه لا حرب في الشرق الأوسط دون مصر ولا سلام دون سوريا؛ الأمر الذي أدى إلى تغيير في استراتيجية الدول العربية كلها تجاه إسرائيل بما فيها سوريا[lvi].

ثم طرح "شهيدي" تساؤلا مهما هو: كيف يمكن إزالة المعلول: قطع العلاقات مع مصر، دون إزالة العلة: اتفاقية كامب ديفيد؟ ليجيب عليه في نقطتين: مفاد الأولى يعني أن اتساع نطاق كامب ديفيد ليشمل دول عربية أخرى من شأنه أن يضع حدا لاستمرار قطع علاقاتنا مع القاهرة؛ نظرا لأهمية مصر في العالمين العربي والإسلامي، وأنه لم يعد بمقدورنا نحن الإيرانيون تجنب إقامة علاقات معها. والنقطة الثانية مفادها أن استمرار قطع العلاقات مع مصر انطلاقا من إطار أيديولوجي، يثير قلقا ما حول

ما إذا كان إعادة العلاقات معها سوف يتم تفسيره على أنه تحول في هوية الثورة الإسلامية أم تراجعا لتوجهاتها السياسية؟ وهنا طرح الكاتب بمنطقية واضحة تساؤله الثاني: في هذه الحالة، تُرى مَن مِن البلدين سوف يكون قد تغير مصر أم إيران؟ ليجيب أيضا بقوله: في ظل الإجابة الطبيعية على هذا السؤال، فإنه يمكن القول إن مصر التي وقعت كامب ديفيد لم يطرأ على موقفها أي تغيير؛ وعلى هذا فإن إيران الإسلامية هي التي أعادت النظر في توجهاتها. وهنا سيكون النظام المصري وحده هو المستفيد معنويا من استئناف العلاقات مع إيران، وإيران هي التي سوف تدفع ثمنا باهظا، من حيث إننا سنكون قد تسببنا في إثارة شكوك الشعوب الإسلامية حول مصداقية ثورتنا وأهدافها. ونكون قد حققنا المشروعية للنظام المصري، وهذا هو الأخطر". ثم ختم الكاتب الموضوع بقوله: إنه على الرغم من كل هذا فإن تحقيق مصلحة إيران يكمن بشكل أعظم في استئناف علاقتها مع مصر"[lvii].

وفي إطار هذا التوجه، صرح الرئيس هاشمي رفسنجاني نفسه في فبراير عام ١٩٩٣م، ضمن الحوار الذي أجراه معه الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل، بقوله: "نحن نعتقد أن العلاقات بين مصر وإيران مهمة؛ فكلا البلدين بما لديه من تاريخ ومن إمكانيات متاحة يستطيع أن يؤدي دوراً مهما في كفاح العالم الإسلامي. وعندما أُبتليت مصر بكامب ديفيد، كان تعبيري عن ذلك أن قلعة العرب والإسلام خرجت من يد العرب والمسلمين بشكل مؤقت. والفرقة بيننا بدأت من هنا. لقد كنا نراهن على مصر باعتبارها موطن القوة والعزة والسند، وأقوى عامل للجهاد في سبيل فلسطين ومن أجل فلسطين... نحن نعتقد أن أهم مسألة بيننا وبين مصر تتلخص في أننا كنا نتوقع دائما من مصر أن تكون رائدة في صفوف الجهاد"[lviii].

كما أكد على هذا التوجه وزير خارجيته علي أكبر ولايتي، في يوليو ١٩٩٣م، بقوله: "مصر تحتل مكانة غالية وعزيزة في عموم الوجدان الإيراني، ولا يشك أحد في أن مصر من أعرق وأهم الدول التي أثرت الحضارة الإسلامية. والعلاقات بين البلدين ضاربة الجذور في عمق التاريخ، وتمتد إلى ما قبل الإسلام". و"التقارب بين مصر وإسرائيل هو جوهر المشكلة؛ فقد عملت إسرائيل كثيرا ضد مصر، ونحن على يقين من أن الإسرائيليين الذين يترددون على مصر يفسدون فيها. وفي ذات الوقت فإننا نعتبر إسرائيل والصهيونية هي مصدر فتن ومفاسد كثيرة في الأرض"[lix].

وعلى الرغم من ذلك، فإن الصحف المقربة من المرشد الأعلى للثورة كانت أحرص على تنبي الخط المتشدد لمواجهة أي محاولة للتقارب مع مصر؛ فقد كتبت صحيفة كيهان مثلا في منتصف يونيو ١٩٩٤م، أن سياسة إيران الخارجية الإقليمية تقوم على ركيزتين مهمتين، هما: القضية الفلسطينية ومسألة أمن الخليج بشكل عام. وأن مصر ذهبت، فيما يخص القضية الفلسطينية، لأبعد من أن تكون مجرد منافس إقليمي لإيران؛ عندما نحا حسني مبارك

نحو المواجهة معها، ولأن نظامه ما هو إلا وريث لنظام السادات الذي وقع اتفاقية كامب ديفيد؛ فإن الموقف الوحيد الذي اختارته الدبلوماسية الإيرانية لنفسها هو "قطع العلاقة" مع هذا النظام وحده.. لا سيما أن آخر الحواجز التي أُقيمت بين البلدين بهذا الخصوص هو توقيع اتفاق غزة أريحا في القاهرة برعاية مصرية (١٩٩٤/٥/٤م) وفي ذات القاعة تقريبا التي عُقد فيها مؤتمر عدم الانحياز بعد شهر تقريبا، الذي سبق أن شاركت فيه إيران. أما ما يتعلق بمسألة أمن الخليج فقد زعمت صحيفة كيهان أن مصر باركت وجود القوات الأمريكية في منطقة الخليج، وهي التي ترتبط مباشرة بالأمن القومي الإيراني، وأن القاهرة هي التي قامت بدور مباشر في تحريض حكام هذه المنطقة بشأن الجزر الثلاث، في محاولة منها لأن تجد لنفسها مكانا فيها من خلال إعلان ٦ + ٢، في إشارة إلى إعلان دمشق (الذي تم التوقيع عليه بتاريخ ١٩٩١/٣/٦م). ثم ختمت الصحيفة الموضوع بقولها: وبما أن مصر وإيران لا يلتقيان انطلاقا من هاتين الركيزتين؛ فإن مصر في نظر إيران تنتهج نهجا عدائيا لها[lx].

كما نشرت صحيفة جمهوري إسلامي، عقب انتهاء مشاركة الوفد الإيراني في أعمال مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز، الذي أقيم في القاهرة في يونيو عام ١٩٩٤م، سلسلة من المقالات المطولة، بلغت تسعة، كتبها "سيد حسين حسيني"، فيما بين يومي ٩ و٢٦ يونيو، تحت عنوان رئيسي ثابت هو: "في أرض مصر، تقرير عن زيارة أرض مصر الإسلامية"، ثم بعناوين أخرى متفرعة عنه، مثل: مصر أرض الثورة"، و"نظام مصر سند المحتلين"، و"تعميم كامب ديفيد". والتي ختمها الكاتب المذكور بموضوع حمل عنوانا يتسق وتوجه الصحيفة المتشدد: "التعاون المشترك مع سماسرة إسرائيل؟" ذكر فيه: "لدينا ثلاثة شروط لإقامة العلاقات مع مصر، كل خطوة تبعد بها مصر عن إسرائيل، يمكن أن نشعر حينها أنها أقرب إلينا. ثانيا على مصر أن تدرك وتفهم أيضا أن الهيمنة الأمريكية على المنطقة يجب أن تزول. ثالثا أن عليها أن تتخلى عن القيام بدور السمسار للمسار الفلسطيني أو استدراج العرب إليه.[lxi]

كما حرصت جمهوري إسلامي على تعقب التصريحات الإيرانية، التي كانت تصدر بين الحين والآخر عن بعض المسئولين بشأن العلاقات مع مصر؛ إما لدحضها، أو انتقاد أصاحبها، أو لنشر تصحيح مُملى عليها. فقد كتبت على سبيل المثال مقالا في مطلع سبتمبر ١٩٩٤م، بعنوان "العلاقة مع مصر خيانة" ردت فيه على تصريحات "حسن روحاني" نائب رئيس مجلس الشورى حينئذ، أدلى بها لوكالة أنباء "جمهوري إسلامي" ونشرتها صحيفة كيهان، لدى عودته من الهند في ٣٠ أغسطس، حول مستقبل العلاقات الإيرانية المصرية وكيف كان

يراهـا؟ وذكـر فيهـا إنـه مـن الـوارد أن تتهيـأ الظـروف وتصـبح مناسـبة أكثـر فـي المسـتقبل لإقامـة علاقـات برلمانيـة وثقافيـة وتجاريـة مـع مصـر[lxii]. إذ قالـت الصـحيفة إن "روحـاني" لـم يوضـح مـا هـي الظـروف التـي ذكرهـا بشـأن تحسين العلاقات مع مصر. ثم علقت بقولها: "الواقع إن العلاقات تم قطعها مع نظام القاهرة بسبب خيانة التسوية مع الصهاينة المغتصبين، وإذا حـدث وتقـرر أن يـتم اسـتئنافها فـي ظـل الظـروف التـي ذكرهـا روحـاني، فلابـد أن تكـون هذه الظـروف تعنـي إمـا أن النظـام الحـاكم فـي مصر قد تخلى عن كامب ديفيد، أو أن تُجرى انتخابات تشريعية وتتولى حكومة مصرية أخرى بـإرادة شـعبها المسـلم، ومؤمنـة بـأن الصـهاينة أنجـاس وخونـة". ثـم راحـت الصـحيفة، تبـرر استمرار قطـع العلاقـة مـع مصـر بـأمر صـريح ومباشـر مـن الخمينـي، فـي صـورة أسـئلة اسـتنكارية، مفادهـا: ألـيس "نهـج النظـام الصـهيوني الحـاكم فـي مصـر هـو نهـج ممتثل للصـهاينة وخاضـع لهـا"، "ألـم نسـمع يومـا عـن قمع الثوار المسلمين في مصر؟"، "ألم نسمع أن نظامها الحاكم قد حاك المؤامرات لكبح الثورة الإسـلامية فـي إيـران؟"، "ألـم تستضـف المؤتمر الـدولي للتنميـة والسـكان المخـالف للـدين والإنسانية؟" (١٩٩٤/٩/٥م). ثم ختمت بتكرار مزاعمها السابقة، من قبيل أن "القاهرة لعبت دور المحفز والوسيط في جميع مفاوضات الذل التي جرت بين قادة الأنظمة العربية أو الوفود الممثلة لهـا مـع إسرائيل، بوصـفها سمساراً للصـهيونية. ولا يزال النظام المصري يثير الفتن والعداوة ضد الثورة الإسلامية[lxiii].

وكـررت جمهـوري إسـلامي ذات الموقـف عنـدما نشـرت خبـرا بتـاريخ ٢٥ مـايو ١٩٩٦م، علـى لسـان "محمد كـاظم خوانسـاري" مـدير إدارة الشـرق الأوسـط العربـي وشـمال أفريقيـا بـوزارة الخارجية تحت عنوان: "وكالـة الأنباء المصرية حرفـت تصـريحاتي"، والتـي تراجـع فيهـا عـن التصريحات التي سبق أن أدلى بها لوكالة أنباء الشـرق الأوسـط المصـرية، قـال فيهـا إن بـلاده "علـى اسـتعداد لتطـوير العلاقـات السياسـية والاقتصادية مع مصر في المرحلة الحالية لما فيه مصلحة الشعبين ودول المنطقة" معربا عن تفاؤلـه بـأن "تشـهد المرحلـة القادمـة تعاونـا أكبـر بـين بـلاده ومصـر باعتبارهـا دولـة مهمـة فـي المنطقـة"، مضـيفا: "إن العلاقـات المصـرية الإيرانية الآن أفضل مما كانت عليه في المرحلة الماضية، كمـا أنهـا تتجـه بصـورة إيجابيـة نحـو آفـاق أرحـب للتعـاون المشـترك فـي مختلـف المجـالات[lxiv]. إذ ذكـرت صـحيفة "جمهـوري إسـلامي" علـى لسـان "خوانسـاري" أن مـا أكـده لوكالـة أنبـاء الشـرق الأوسـط هـو أن كـلا مـن مصـر وإيـران يتعاونـان علـى مسـتوى المحافـل الدوليـة، وأننـا نتطلـع لأن يكـون لـديهما تعـاون أكبر في المجالات الاقتصادية"[lxv].

والحقيقة إنه عندما نطالع عناوين المقالات والموضـوعات التـي عالجتهـا الصـحف الإيرانيـة في تلك الفترة، وحتى توقف الحملات الإعلامية المتبادلـة بينهمـا، نـدرك أن هـذه الصـحف نقلـت للقارئ معاني واضحة أكدت من خلالها على

ثبات موقف طهران تجاه القضايا الخلافية مع مصر، من خلال معالجة ذات الموضوعات بطرق مختلفة وبأقلام متنوعة. كما أننا عندما نتبصر في الحقل الدلالي لمفردات هذه العناوين أو بنيتها التركيبية، نوقن أيضا أنها مفردات كانت تشي بوجود تصادم حاد في التصورات الاستراتيجية بين مصر وإيران فيما يتعلق بسبل حل القضية الفلسطينية. وأن هذه القضية كانت تمثل منطلقا مهما لتفكيك دور مصر في هذه القضية والنيل في سمعتها الإقليمية.

ومن بين هذه الصحف جمهوري إسلامي التي عُرفت بعدائها الشديد لمصر، ومن بين العناوين التي كانت تتصدر صفحاتها، نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "النظام المصري، سمسار الصهيونية" بتاريخ ٢٠نوفمبر ١٩٩٥م[lxvi]، و"سيف الشعب المصري في غِمد مرتزقة الصهيونية"، بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٩٨م[lxvii]، و"تعمية عن خيانة الرجعية العربية المستمرة" بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٩٥م، الذي صورت فيه التحركات العربية، الرامية لإتمام المسيرة السلمية في المنطقة، بصورة مشينة. كما تطاولت على النظام المصري فصورته بصورة النظام العميل الذي يسعى لإخضاع الأنظمة العربية لإسرائيل[lxviii]. ناهيك عن موضوع آخر نشرته تحت عنوان: "إخفاق مثلث الشؤم: مصر . إسرائيل . أمريكا" بتاريخ ١٦مارس ١٩٩٦م، لتهاجم فيه انعقاد مؤتمر "صُنَاع السلام بشرم الشيخ ١٩٩٦/٣/١٣م، واصفة إياه بأنه "مجرد هزيمة سياسية وإعلامية أخرى لهذا المثلث"[lxix].

ونشرت جمهور إسلامي موضوعًا آخرًا تحت عنوان: "على نظام القاهرة أن يصلح من نفسه" بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٩٦م، ردا على تصريحات صدرت عن القاهرة حول شروطها لعودة العلاقات بين البلدين، مفادها أنه يجب على إيران أن تثبت حسن نيتها بالفعل وليس بالكلام. قالت فيه الصحيفة "إن قائمة الضعف والإفلاس التي أصابت سياسة نظام القاهرة الخارجية تضمنت هذه المرة مطالب أمريكية وإسرائيلية؛ لأن نظامها ما هو إلا مجرد بوق للصهاينة في المنطقة". وأضافت "كان من المنتظر، بعد انتهاء فعاليات العار التي شهدها مؤتمر شرم الشيخ، أن تخجل القاهرة من أفعال الخيانة، غير أن الشواهد والقرائن باتت تشير إلى أنه نظام لايزال يكرر ذات السياسة. وليعلم قادة نظام كامب ديفيد أن مساندة الحركات الإسلامية كانت وستظل واحدة من الأهداف الأساسية للثورة الإسلامية، وأنها لن تتخلى مطلقا عن أهدافها أو تتنازل عن مبادئها من أجل إرضاء هذا أو ذاك. وأن على نظام القاهرة أن يصلح من نفسه أولا ويحترم إرادة الشعب المصري؛ بعد أن بات مكلفا بثلاث مهام، تُعد ذاتها المحاور الأساسية للسياسات الأمريكية والصهيونية في منطقة الشرق الأوسط، تتلخص في تهيئة الأجواء لتعميم كامب ديفيد والتسوية مع الاحتلال الصهيوني، وقمع الشعب الغيور

وتحطيم إرادة الشعب المصري في مواجهته للاستكبار والصهيونية، ومناهضة الحركات الشعبية الإسلامية في العالم الإسلامي بوصفها حركات متطرفة وإرهابية[lxx].

كما نشرت "جمهوري إسلامي" موضوعا آخراً بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٩٦م، بعنوان: "مبارك يلطم بشقفة الصهاينة" نالت فيه من تحركات "مبارك" الداعية إلى عقد مؤتمر للقمة العربية بالقاهرة؛ عقب فوز حزب الليكود في الانتخابات الاسرائيلية، واصفة نظامه بأنه "نظام مجبول على خدمة الصهاينة" وإنه "يلعب على كل الحبال". كما نالت أيضا من جريدة الأهرام فوصفتها بـ "بوق نظام مبارك" ثم ختمت الموضوع متسائلة: "كيف يمكن محو أثر الخيانة العظمى التي تورط فيها نظام القاهرة"[lxxi]. ثم تابعت الصحيفة حملتها على مؤتمر القمة العربية المذكور بموضوع نشرته بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٩٦م، وصفت فيه هذه القمة نصا بـ "قمة الركوع أمام الولايات المتحدة"، وأنها "تجسيد لحقارة سياسة القاهرة" وأنها "مجرد محاولة لتهدئة الأوضاع لصالح إسرائيل"[lxxii].

وردا على الحوار الذي أجرته صحيفة الأهرام، في لندن، مع "مريم رجوي" الرئيسة المنتخبة من قبل المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية بالمنفى، ونشرته بعددها الأسبوعي في الأول من يوليو ١٩٩٦م، كتبت جمهوري إسلامي مقالا بتاريخ ٨ يوليو ١٩٩٦م، تحت عنوان: "الأهرام الناطقة باسم النظام المصري تنفث سمومها على جمهورية إيران الإسلامية" اعتبرت فيه إجراء الأهرام لمثل هذا الحوار بمثابة "مؤشر قوي على مدى حقد نظام مبارك على جمهورية إيران الإسلامية"، الذي سبق أن اتهم إيران بدعم الإرهاب أثناء زيارته لباريس[lxxiii].

وتحت عنوان: نظام القاهرة الكسيح هو الوحيد المؤيد لسياسات كلينتون" (Bill Clinton)، ادعت جمهوري اسلامي زورا في عددها الصادر بتاريخ ١٢أغسطس ١٩٩٦م، أن مصر هي الوحيدة التي أيدت قانون العقوبات الأمريكية على إيران المعرقف بقانون "دماتو"، زاعمة أن "التصريحات التي صدرت عن النظام المصري العميل ما هي إلا خدمة لأسياده في واشنطن"، وأن مهمة "أسامة الباز" المستشار السياسي للرئيس مبارك "تنحصر في ترديد ما يمليه عليه الأمريكان لإسعاد الصهاينة". ثم ختمت الصحيفة افتراءاتها بقولها: "كأنه لا يوجد شخص رشيد في هذا النظام المشلول يفهم شيئا، يمكنه أن يحدد ما هي مصالح مصر"[lxxiv]

ثم كتبت جمهورى إسلامي موضوعا آخرا، بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٩٦م، تحت عنوان: "القاهرة، حليف موضع ثقة إسرائيل"، تعليقا على زيارة "ديفيد ليفي" (David Levy) وزير الخارجية الاسرائيلي للإسكندرية، ولقائه مع نظيره المصري عمرو موسى لبحث سبل استمرار جهود السلام، زعمت فيه: "أن الحكومة المصرية لم تثبت فقط عدم ابتعادها عن كامب ديفيد وحسب، بل إنها نجحت بجدارة في إفساح الطريق أمام تحقيق أهداف كامب ديفيد في

منطقة الشرق الأوسط، وخطت خطوات واسعة فيه". ثم ختمت تلك المزاعم بقولها "إنه يجب تعرية الوجه الحقيقي لنظام القاهرة في هذا الشأن لأن نهج العمالة أصبح هو السمة الأساسية لقادته"[lxxv]

وانتهزت صحيفتا جمهوري إسلامي وكيهان فرصة انعقاد مؤتمر الإقليمي للتنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، للهجوم على مصر، فقد كتبت صحيفة جمهوري إسلامي على سبيل المثال موضوعا تحت عنوان: مؤتمر القاهرة، استمرار لسمسرة الشؤم، بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٩٦م، للنيل من القاهرة والتطاول على الرئيس مبارك، والهجوم على المؤتمر وقالت إنه انعقد لأحياء العملية السلمية. وأن القاهرة هي التي أسست لهذه الظاهرة الرزيلة للتسوية بين العرب وإسرائيل، وأنها باتت المدير الإقليمي لأمريكا وإسرائيل في المنطقة، والمرشد الموجه والدافع للأنظمة العربية للمضي في هذا السلام. ثم ختمت الصحيفة بقولها: إن هرولة النظام المصري لاستضافة مؤتمر القاهرة، في ظل يأس رموزه وسخطهم على الممارسات الإسرائيلية المعرقلة لمسار السلام ما هو إلا تجسيد لاستمرار الدور القبيح لنظام مبارك في السمسرة لصالح الصهيونية[lxxvi]. الذي أصبح، وفق ما أوردته في مقالتها الافتتاحية بعد ذلك يوم ٢١ يناير ١٩٩٧م، بأنه ذراع تنفيذية للصهاينة[lxxvii]. كما أن عملية السلام برمتها، وفق ما نشرته في عددها الصادر يوم ١٧ سبتمبر ١٩٩٨م، هي إلى محصلة لخيانة مصر للعرب والقضية الفلسطينية، منذ أن بدأها أنور السادات وسار على نهجها خلفه مبارك[lxxviii].

وأدلت صحيفة "كيهان العربي" بدلوها في النيل من الدور المصري في عملية السلام، فكتب "محمد هادي خفاجة" مقالا مطولا، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٩٧م، بعنوان: "حسني مبارك على خطى الملكين عبد الله وفاروق في تصفية القضية الفلسطينية" زعم فيه أن النظام المصري نصب نفسه وصيا على الشعب الفلسطيني، ويتفاوض باسمه؛ ومن ثم هاجم اقتراح مصر استئناف المفاوضات بين السلطة الوطنية وحكومة نتنياهو (Benjamin Netanyahu) بشأن تسليم الأراضي المتفق عليها بموجب اتفاق أوسلو (Oslo)؛ إذ رأي أنها مجرد إعادة صياغة لأفكار نتنياهو و"وديننيس روس"(Dennis Ross) مستشار الأمن القومي الأمريكي، ولكن بأقلام مصرية، وأن مصر هي التي فرضت نفسها طرفا ثالثا لحماية الكيان الصهيوني وقمع الشعب الفلسطيني، وأنها تلبي فقط احتياجات الصهاينة فقط. وأن مبارك وغيره من أقطاب التسوية السلمية، لا يقل خطورة عمن سبقه سواء الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية، أو الملك فاروق؛ مدعيا أن النظام المصري يبيع الأرض للعدو، وكفاه خيانة وبيعا للأراضي الفلسطينية[lxxix]

ولم تغفل جمهوري إسلامي أيضا الرد بأشد العبارات حدة على ما كتبه رؤساء تحرير الصحف القومية، نذكر منها مثلا، ما كتبته يوم ١٣أغسطس ١٩٩٦م، ردا على ما كتبه الكاتب الصحفي سمير رجب رئيس مؤسسة التحرير بجريدة مايو في ١٢ أغسطس ١٩٩٦م، واعتبرته إهانة للجمهورية الإسلامية ولمسئوليها، واصفة ما ذهب إليه "رجب" بأنه "حماقة غير مفهومة ودعايات مخجلة وحقد وعمالة"[lxxx]. كما ردت أيضا على مقال الكاتب الصحفي إبراهيم سعده رئيس تحرير صحيفة الأخبار الأسبوعي الذي كتبه تحت عنوان "أشياء لا يفهما الملالي" بمقال عنوانه: "صحافيو كامب ديفيد في خدمة الصهيونية" تطاولت فيه على الكاتب المصري بأشنع العبارات[lxxxi]

وعلى الرغم من ذلك، فقد بدأت اللهجة المتشددة تجاه السياسة المصرية تتحسن في الصحف الإيرانية تدريجيا بدءا من منتصف ١٩٩٦م، خاصة عندما دخلت صحيفتا جمهوري إسلامي وكيهان في حوار مفتوح مع وزارة الخارجية الإيرانية حول سياسة طهران الخارجية عامة والعلاقة مع مصر خاصة، بدا كما لو كان مراجعة أو تقييم متنوع الرؤى والزوايا أمام الرأي العام الإيراني، حول القضايا الخلافية الإقليمية وعلى رأسها القضية الفلسطينية وأمن الخليج العربي[lxxxii].

حتى أن جمهوى إسلامي نشرت تقييما عاما لاتفاقيات السلام المصرية الإسرائيلية، بتاريخ ٢١يونيو ١٩٩٨م، بمناسبة مرور عقدين عليها، تحت عنوان "تقييم دور القاهرة الفعال في بناية السلام المتصدعة في الشرق الأوسط" كررت فيه مقولاتها السابقة ولكن بلغة أخف انتقادا للقاهرة، فذهبت إلى أنه على الرغم من مضي أكثر من عشرين سنة على العلاقة بين تل أبيب والقاهرة إلا أن حكام القاهرة لم يمتلكوا جرأة الدفاع عن وجود إسرائيل أمام مجتمعهم وثقافتهم المصرية الأصيلة. غير أن اللافت هنا هو أن الصحيفة نشرت موضوعا مشابها أسفل الموضوع المذكور تحت عنوان: "ماذا يريد الصهاينة من تركيا" كما لو كانت تريد إيصال رسالة للقارئ أن انتقادها لموضوع السلام المصري الإسرائيلي ليس موجها لمصر، بقدر ما هو حرصاً منها على إظهار أحد أهداف سياسة إيران الخارجية وهو العداء لإسرائيل، بوصفه منبع الخلاف بين طهران وكل من يقيم علاقات مع تل أبيب[lxxxiii].

المعالجة المصرية

عالجت الصحف المصرية العلاقات مع إيران بموضوعية وحسم، وردت على نظيرتها الإيرانية في جميع المواطن التي كانت تستدعي ذلك. وتميزت هذه المعالجة بأنها كانت كاشفة لأقاويل طهران ومزاعمها بشأن القضايا محل الخلاف بين البلدين. فقد انطلقت مثلا معالجتها لموقف إيران الرافض لحل القضية الفلسطينية بالطرق السلمية، من أن امتطاء إيران صهوة العداء الأجوف لإسرائيل مثّل نموذجا فجا لتواطؤ نظام يدعو ليل نهار للقضاء على إسرائيل، بينما يتعاون معها خُفية، وأنه لا أدل على ذلك من التعاون الخفي الذي قام بينهما أثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ .

١٩٨٨م)، الذي كشفته مجلة الشراع اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٨٦م، وأماطت اللثام عن طبيعة الاتصالات السرية التي جرت بين إيران أمريكا، والتعاون التسليحي بين طهران وتل أبيب؛ فيما عُرف إعلاميا حينها بفضيحة "إيران جيت" أو "إيران كونترا"[lxxxiv] إذ أبرزت الصحف المصرية، خاصة جريدتا الأهرام والأخبار، تفاصيل هذه الفضيحة لتؤكد للقارئ مدى التواطؤ الإيراني مع إسرائيل ضد النظام الإقليمي العربي وعلى رأسه مصر، وأن التعاون العسكري بين إيران وإسرائيل يعد في مقدمة اتجاهات التهديد الإيراني ضد الأمن القومي المصري. وأن وجود هذا النمط من التعاون بينهما يدحض جميع مزاعم العداء بينهما. وقد نجحت الأهرام والأخبار في ترسيخ صورة ذهنية عن نظام الحكم الإيراني باعتباره نظاما مخادعا ومتآمرا ضد الأمة العربية ومتاجرا بقضاياها لصالحه[lxxxv].

وقد نبع اهتمام الصحف المصري بتفاصيل هذه الفضيحة تحديداً من مدى حرصها على أن يدرك المتلقي المصري والعربي جميع الحقائق المتعلقة بالعلاقات الإيرانية الإسرائيلية، كي يعي مدى إدراك إسرائيل لحتمية التعاون مع إيران، خاصة أن نقطة الالتقاء بينهما هو العداء التاريخي المشترك للعالم العربي. وأن يوقن أيضا أن تصور إسرائيل لتطور الحرب العراقية الإيرانية، ينبني على إيمانها بأن أي انتصار إيراني فيها سيؤدي إلى تضاعف جهود طهران لتصدير الثورة إلى جميع الدول العربية وزعزعة أنظمة الحكم فيها. وأن طول أمدها سيؤدي إلى زيادة ضعف العراق إلى الدرجة التي لا تقوم معها للجبهة الشرقية قائمة مرة أخرى. وأن علاقات التعاون بين طهران وتل أبيب تمثل فرصة كبيرة لإسرائيل لأن قوتها تقوم على صفقات السلاح وتسهيل هجرة يهود إيران إليها فضلا عن حاجتها للبترول الإيراني[lxxxvi].

أما فيما يخص القضايا الخلافية المتعددة مع إيران، فقد تناولتها الصحف المصرية بالمعالجة الرزينة تارة، والرد بالمثل على أي تطاول من الصحف الإيرانية على مصر تارة أخرى. فضلا عن إبراز الردود الرسمية على ما كان يصدر عن طهران من تصريحات وأقاويل بشأن العلاقات الثنائية بين البلدين، مثل ردها التصريحات التي نشرتها صحف طهران على لسان مصدر مسئول بالخارجية الإيرانية زعم فيها أن "مصر سعت وألحت بشكل مباشر وغير مباشر لاستئناف العلاقات مع إيران ولكنها رفضت الاستجابة لها؛ بسبب تورطها في اتفاق الخيانة مع إسرائيل (في إشارة منه إلى اتفاقية كامب ديفيد) التي كانت سببا مباشرا في فقدان مصر موقع الزعامة في المنطقة". إذ جاء الرد المصري سريعا وعنيفا؛ مؤكدا زيف ادعاء المتحدث الرسمي الإيراني، مشيرا إلى اتفاقات بلاده السرية مع إسرائيل، بوصفها دليلا على افتقاد إيران الشجاعة والأمانة[lxxxvii].

صحيح أنه جرت محاولات لاستئناف هذه العلاقات على مستوى مكتب رعاية المصالح، منذ تولى الرئيس هاشمي رفسنجاني الحكم عام ١٩٨٩م، حتى كان البلدان قاب قوسين أو أدني من استئناف العلاقات الكاملة عام ١٩٩٢م، إلا أن تصريحات نائب وزير الخارجية الإيراني "علي بشارتي" التي قال فيها إن أحوال مصر الاقتصادية تحول دون قيامها بدور في أمن الخليج، أعادت العلاقة بين البلدين إلى مرحلة أسوأ من ذي قبل[lxxxviii]. على الرغم من أن وزير الخارجية الإيرانية على أكبر ولايتي أوضح لنظيره المصري عمرو موسى، على هامش اجتماعات المجلس الوزاري لحركة عدم الانحياز بمدينة بالي الإندونيسية (١-٦/٩/١٩٩٢م)، أن تصريحات بشارتي المذكورة كانت مجرد "دردشة" ليست للنشر مع صحفي بجريدة جمهوري إسلامي كتعبير عن وجهة نظر شخصية إلا أن الصحفي تجاوز حدوده ونقلها. كما أكد له على إمكانية استمرار التعاون والتنسيق بين البلدين من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي. في حين عبر له عمرو موسى عن استياءه من كثرة كلام المسئولين الإيرانيين عن كامب ديفيد باعتبارها العقبة التي تحول دون استئناف العلاقات مع مصر في الوقت الذي تطلب فيه إيران ذلك[lxxxix].

وفي هذا السياق نقلت جريدة الوفد تصريحات المتحدث الرسمي باسم الخارجية المصرية في يونيو ١٩٩٢م، التي ذكر فيها أن الحديث عن إعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران على مستوى السفراء، مازال أمراً سابقاً لأوانه، وأن هذا لا يعني التشكيك في مسيرة التحسن في العلاقات بين البلدين؛ وذلك توضيحا للتصريحات التي أعلن فيها عمرو موسى أن هناك تحسنا ملحوظا في العلاقات مع إيران وأن لها دوراً رئيسيا في أمن الخليج[xc]

وهنا كتب "إبراهيم سعده" مقالا لاذعا يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٢م، بجريدة أخبار اليوم بعنوان: "العبوا غيرها"، شن فيه هجوما ضاريا على نظام طهران واصفا إياه بـ "المتمسح بالإسلام". وقال إن سلوكها السياسي "يصلح كأسلوب للتعامل مع العصابات وقطاع الطرق، ولا يصلح للتعامل به كأسلوب عمل بين الدول المتحضرة". نافيا أن تكون مصر قد طلبت من إيران إعادة العلاقات معها، لسبب بسيط هو أن النظام الإيراني هو الذي قطعها، وبالتالي فهو الذي يجب عليه أن يطلب عودة هذه العلاقات التي قطعته وليس العكس. ثم انتقد الكاتب التصريحات المتناقضة التي كانت تصدر عن طهران من آن لآخر في هذا الشأن، بقوله: "ما من مرة يعلن فيها النظام الإيراني عن قرب عودة العلاقات مع مصر، إلا ويعقبه تصريح إيراني آخر في اليوم التالي، يناقض التصريح الأسبق؛ ولهذا فإن القيادة المصرية لم تعد تعبأ بهذه المناورة الصغيرة" ولم تعد تُعلق على عليها أو تعيرها أدنى اهتمام"[xci].

كما انبرى ابراهيم سعده بالرد، في ذات المقال، على تصريحين صدرا على لسان مسئولين إيرانيين، الأول نشرته جمهوري إسلامي على لسان "علي بشارتي" المشار إليه أعلاه، وذكر فيه أيضا أن إيران لاتزال متمسكة

بموقفها السابق المتعلق بالعلاقة مع مصر، وأنه لم يطرأ أي تغيير في هذا الشأن. والتصريح الثاني هو الذي نشرته صحيفة اطلاعات على لسان نائب وزير الخارجية "علي لاريجاني" وقال فيه: "إن الظروف الحالية لا تبرر تطبيع العلاقات مع مصر". إذ راح إبراهيم سعدة يصف النظام الإيراني بأنه نظام "فاسد"، و"إرهابي" و"لا يحترم القوانين الدولية، ولا يهمه غير تصدير فساده وثورته غير الإسلامية إلى أي بلد لديه علاقات دبلوماسية معه". وأنه فشل فشلا ذريعا في محاولاته "اختراق مصر" وهذا ما أفقده صوابه، بالتالي لم يعد في وسعه ولا في استطاعته تحقيق هدفه ووهمه وأطماعه في أرض العرب بسبب مصر؛ بوصفها القوة العربية الوحيدة القادرة على وقف تغلغله في أرض العرب ونهب ثرواتها، إلا أن يطلق تصريحاته المخادعة بقرب عودة العلاقات مع مصر، ثو يتخذها منطلقا للتهجم على مصر شعبا وحكومة[xcii].

ثم نشرت صحيفة الأخبار خبرا بتاريخ ٢٧ نوفمبر من نفس العام، تحت عنوان: "تحذر إيران من أية خطوة غير محسوبة"، نقلت فيه تصريحا لعمرو موسى أكد فيه أن مصر لن تترك العالم العربي وأرضه عُرضة للتمزق، وأنه على إيران إعادة النظر في بعض سياساتها في منطقة الخليج، محذرا من أي خطوة غير محسوبة تؤدي إلى ردود فعل قد تسبب الضرر للجميع. وأن العلاقة الأفضل تكون باحترام سيادة الدول؛ لأن الوضع في الخليج مقلق للغاية؛ بسبب ظهور سياسات تستهدف الهيمنة وفرض القوة. وأن المنطقة يجب ألا تشهد حربا أخرى بعد أن شهدت حربين كبيرتين[xciii].كما نشرت تصريحا لمصدر آخر قال فيه: "إن الهجوم الذي تشنه إيران على عملية السلام الجارية حاليا لا يتفق والعلاقات الإيرانية الإسرائيلية القديمة، كما لا يتفق مع لجوء إيران إلى شراء السلاح من إسرائيل خلال حربها مع العراق. ويكشف مدى كذبها ونفاقها الذي تمارسه في القضية الفلسطينية، لأنها عندما تُظهر الحرص على حقوق الشعب الفلسطيني والعداء لإسرائيل، فإن هدفها من وراء كل هذا هو مجرد ادعاء بطولة زائفة.[xciv]

وفي ذات اليوم، كتبت مجلة "المصور" موضوعا بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٩٢م، تحت عنوان: "ماذا يريد الإيرانيون من مصر؟" أوردت فيه تصريحا للرئيس مبارك قال فيه: "بادرت إيران بطلب استئناف العلاقات بين طهران والقاهرة، وكنت دائما أتوخى الحذر في اتخاذ مثل هذا القرار رغم وساطات بعض الدول الصديقة في التدخل بضرورة استئناف هذه العلاقات، ولكني فضلت تأجيل اتخاذ هذا القرار.. وبالفعل اتضحت الرؤية أمامي عندما اكتشفت أن إيران تريد التركيز على العلاقات الثقافية واتخاذها وسيلة لتصدير أفكار الثورة الإيرانية في مصر، ومنها إلى بقية الدلو العربية"[xcv]. وأعربت المجلة ذاتها أيضا عن

أسفها لتطاول "علي خامنه اى" على مصر، ثم أوردت رد الرئيس مبارك شديد اللهجة على ما نشرته صحيفة "طهران تايمز" (Tehran times) على لسان الناطق باسم الخارجية الإيرانية،؛ إذ وصف مبارك الألفاظ الواردة على لسان المسئول الإيراني بأنها ألفاظ "بذيئة" مؤكدا على أنها "لا تخرج إلا من السوقة" كما وجه رسالة مباشرة إلى "خامنه اى" بقوله: "أيها المسلم إن الدين يحض على الفضيلة والحق وليس في الدين ما يدعو إلى الشتائم والألفاظ البذيئة"[xcvi].

ومن ناحية أخرى، كتبت صحيفة الأخبار بتاريخ الأول من ديسمبر ١٩٩٢م، موضوعا بعنوان: "تهديد إيران مرفوض"، تناولت فيه رفض الدكتور "أسامة الباز" المستشار السياسي لرئيس الجمهورية تهديد إيران المستمر للدول الخليجية والعربية، وتأكيده على أنها لن تستطيع الإخلال بأمن الدول العربية، وأن واجب مصر هو حماية الأمن القومي المصري والعربي.[xcvii]

وردا على تصريحات الرئيس هاشمي رفسنجاني لصحيفة "لوفيجارو"(Le Figaro) الفرنسية، وأعادت نشرتها جريدة كيهان بتاريخ ١٢سبتمبر ١٩٩٤م، التي أعرب فيها عن رغبته في إقامة علاقات طبيعية وقوية مع جميع دول العالم، على أساس الثقة المتبادلة، باستثناء ثلاث دول بعينها هي الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ومصر؛ نظرا لأنهم دنسوا القضية الفلسطينية وأثاروا القلاقل بشأنها[xcviii]، كتب الاستاذ إبراهيم نافع مقالا قويا بالأهرام بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٤م، تحت عنوان: "رفسنجاني وسهامه الطائشة ضد مصر" قال فيه إن ما ذكره رفسنجاني لا يستحق عناء الرد المصري عليه، إلا أنه يسجل بهذا المقال الملاحظات الناقدة عليه:

أولا: إن النظام الإيراني يدرك جيدا أن مصر تمثل العقبة الكؤود أمام محاولاته الرامية لتفكيك الوطن العربي وإضعافه، بل وسعيه لفرض سيطرته على منطقة الخليج العربي والتحول إلى دولة إقليمية كبرى تستغل الدين من أجل تصدير المبادئ التي تقوم عليها الثورة الإيرانية، حتى يتحقق لها التغلغل داخل المجتمعات العربية، وتتمكن بذلك من السيطرة عليها من الدخل عن طريق أنظمة حكم موالية لها، مثلما فعلت مع النظام السوداني. وبسبب دور مصر في إفشال هذا المخطط الإيراني؛ فإن نظامها يخص مصر من حين لآخر بالجانب الأكبر من الادعاءات الواهية والاتهامات الباطلة[xcix]

ثانيا: إن الحجة الإيرانية المزعومة تبدو مثيرة لأقصى درجات الدهشة؛ نظراً لأن دور مصر في دعم القضية الفلسطينية ومساندة حقوق الشعب الفلسطيني ليس محل تشكيك من أي طرف من الأطراف، مهما كان التبجح والافتراء؛ فقد قدمت مصر دائما من المساعدة والدعم والتأييد لهذا القضية مالم يقدمه أي طرف آخر. ولا أحد يعرف أي قلاقل تلك التي تحدث عنها الرئيس الإيراني بشأن القضية الفلسطينية. خاصة أن ما تحقق للقضية الفلسطينية خلال الفترة الماضية يعد طفرة تاريخية كبرى؛ لأن الفلسطينيين تمكنوا من إقامة أول سلطة سياسية في تاريخ الشعب الفلسطيني فوق ترابهم

الوطني، وتحرر قطاع مهم من الاحتلال الاسرائيلي بما يمثله ذلك من خطوة تمهيدية مهمة نحو لانهاء هذا الاحتلال[c]

ثالثا: إن إيران ليست من الأصل الطرف الذي يعطي لنفسه الحق في الدفاع عن الشعب الفلسطيني وقضاياه؛ لأنها لعبت دورا مدمرا للقضية الفلسطينية، ليس في الوقت الراهن ولكن أيضا منذ اندلاع الثورة الإيرانية؛ وذلك لأنه بدلا من أن يتجه قادتها في ذلك الوقت نحو الدفاع عن الحقوق الفلسطينية والعربية، صموا آذانهم عن كل دعوات إنهاء الحرب مع العراق، التي استنزفت جانبا مهما من القدرات العربية الشاملة، وصرفت الانتباه طيلة ثمان سنوات عن باقي القضايا العربية. بل إنهم لم يترددوا في إقامة تعاون مع أي دولة في العالم، بما فيها إسرائيل والولايات المتحدة التي أعلن رفسنجاني رفض بلاده إقامة علاقات معها، وحصلوا منهما على احتياجاتهم من السلاح، في إطار ما عرف بـ "قضية إيران كونترا" فضلا عن تعاونهم السري مع إسرائيل للحصول على منظومات الأسلحة والمعدات اللازمة لمواصلة الحرب ضد العراق. وفي النهاية اضطروا للرضوخ ووقف القتال مع العراق، ولكن بعدما تبددت الموارد والطاقات البشرية والاقتصادية للبلاد. ثم ختم إبراهيم نافع موضوعه بالتأكيد على أن إيران هي البلد الوحيد في العالم الذي يعمل بكل جدية على تخريب اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي وتسعى بشتى السبل لوقف مسيرة التسوية السلمية في المنطقة.. فمن إذن يبذر بذور القلاقل للقضية الفلسطينية مصر أم إيران[ci].

وبعد أن أدلى الرئيس مبارك بحديث لصحيفة الأهرام، يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٩٤م، رد فيه على تصريح نظيره الإيراني، بقوله: "لماذا يتناول القضية الفلسطينية بالذات .. ألم تكن إيران لها علاقات ممتازة مع إسرائيل، حتى أثناء حرب الخليج بين العراق وإيران؟، ألم يكن كل التعاون قبلها قائما بين إيران وإسرائيل؟". وتأكيده: "موقفنا من القضية الفلسطينية واضح ومعروف.. وأولهم الشعب الفلسطيني صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في مصيره. وأرجو ألا تتصور إيران أنها تعرف الخبايا وحدها، أو أنها العليمة ببواطن الأمور"[cii]. من ثم شن كتاب الصحافة المصرية هجوماً ضاريا على إيران، نذكر منها على سبيل المثال، ما كتبه الاستاذ "محمد عبد المنعم" بجريدة الأهرام، يوم ٢٤ سبتمبر، تحت عنوان: "بلاد الوعود الكاذبة" انتقد فيه تجربة إيران الثورية بوصفها ترجمة حية لفكرة استغلال الدين والعقائد الروحية للوصول إلى السلطة، كما انتقد تردي الأوضاع الداخلية في المجتمع الإيراني[ciii]. وما كتبه أيضا الاستاذ "عبده مباشر" تحت عنوان: "إيران وقطع العلاقات الدبلوماسية"، يوم ٣٠ اكتوبر، دحض فيه المبررات والذرائع الإيرانية لاستمرار قطع العلاقات مع مصر، بقوله إن إيران سعت بكل قوتها لدعم علاقاتها مع تركيا وهي صاحبة

العلاقات الوثيقة مع إسرائيل، وأن دولا كثيرة مجاورة لإيران مثل أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وطاجيكستان وقيرغيزيا وغيرها اعترفت بإسرائيل وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسي، ومع هذا لم تقم إيران بقطع علاقاتها مع أي منها، على الرغم من استمرارها في رفع شعارتها وتبني نفس سياساتها المتشددة، فضلا عن أنها لم تجد لديها من الشجاعة الكافية لقطع العلاقات مع الفلسطينيين حتى بعد أن وقعوا اتفاق سلام مع إسرائيل.[civ]

ومن ناحية أخرى لم تكتف الصحف المصرية بدحض المزاعم الإيرانية والرد على ما نشرته صحفها، بل إنها لعبت دورا مهما أيضا في كشف محاولات بعض الأقلام المصرية تمرير تصورات النظام الإيراني وتسويغ قيمه لدى الرأي العام العربي. نذكر منهم على سبيل المثال، الكاتب "فهمي هويدي" الذي انتقد الإعلام المصري بأسلوب عكس مدى تماهيه مع التوجهات الإيرانية في هذا الشأن، من خلال ورقته التي ألقاها تحت عنوان: "العلاقات العربية الإيرانية وآفاق المستقبل" بالندوة الدولية التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية بالدوحة (١١ ــ١٤/١٩٩٥م، بالتعاون بين جامعة قطر ومركز الدراسات السياسية الدولية بطهران. إذ قال هويدي إن الإعلام المصري كان خلال الحرب العراقية الإيرانية عاكسا لتوجهات الإعلام العربي الواقف في خندق واحد مع العراق متهما إيران بتصدير الثورة، كما صورها بأطماعها في الخليج بشكل وصفه هويدي بأنه "تجاوز العديد من الخطوط الحمراء" وأن الصحف المصرية لم تراع "الانتباه للآثار المترتبة على أهمية إيران بوصفها عمق استراتيجي للأمة العربية، أو حليف محتمل في مواجهة الخطر الإسرائيلي" وهو ما كان يمثل في رأي هويدي بأنه "إهدار للمصالح الاستراتيجية للأمة".

إذ انبرى الأستاذ إبراهيم نافع بمقاله "دفاعا عن مصر لا عن الصحافة المصرية" سبق الإشارة إليه، للرد على ما ذهب إليه "هويدي" في ورقته، بقوله إن إيران وجدت فيه ذلك الرجل الذي دافع عن وجهة نظرها في مقالاته، على مدى ثلاث سنوات، أي فيما بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩م، وكان كل من يخالفه الرأي أو يواجه زيف الشعارات الإيرانية التي كان يروج لها، كان يسحب عليه ذات الاتهامات المسجلة في القائمة الإيرانية ضد خصومها، وهي إما أن كاتبها "تابع للسلطة"، أو "أن ذلك يفتح الطريق للهيمنة الصهيونية". ثم ذكّر ابراهيم نافع الكاتب المذكور، بأن الأهرام، وهو الذي يمثل موقف السلطة بحد زعمه، نشر مقالا للسيد "عباس مالكي" رئيس مركز الدراسات السياسية والدولية التابع للخارجية الإيرانية، في حين لم تُعط نفس الفرصة للدكتور "محمد السيد سليم" أثناء زيارته لطهران رداً على زيارة "مالكي"؛ فلم يُسمح له بنشر مقاله، أو رأيه في الصحف الإيرانية، كما فعلت الأهرام في مصر. ولفت نافع بقلمه المتزن نظر هويدي إلى أن التوتر القائم والقطيعة المستمرة بين مصر وإيران تقف ورائها عدة أسباب، أولها تصادم التصورات الاستراتيجية المتصلة بسياسة كل منهما ودوره

في المنطقة العربية بصفة عامة وفي منطقة الخليج بصفة خاصة. وثانيها تضارب التصريحات الإيرانية "فكل تصريح تعاوني إيراني كانت تعقبه تصريحات تصادمية" لأن كل من تكلم منهم لم يكن يملك القدرة على اتخاذ القرار. ثالثها هو خطاب إيران السياسي المتشدد الذي كان يقوده "خامنه اى" تجاه مصر، فضلا عن رعاية طهران لتدريب الإرهابيين بمعسكرات حزب الله، التي جرت عليها الاتهامات العربية والدولية برعاية الإرهاب والتدخل في الشئون الداخلية لكثير من الدول العربية[cv]

كما كتب الأستاذ "جلال دويدار" مقالا بجريدة الأخبار، يوم ٢ يناير ١٩٩٦م، بعنوان: "أوهام ملالي إيران تثير أزمة في سوريا"؛ علق فيه الكاتب على تأجيل زيارة "حسن حبيبي" لدمشق، بقوله: إننا في مصر لم نتجن، ولم نخادع عندما كشفنا المخطط الإيراني الرامي إلى التسلط والهيمنة ومماسة التهديدات والأعمال العدوانية، وعندما قلنا إن العالم العربي يرفض وصاية ملالي إيران، ويرفض احتلالها للجزر الإماراتية، ويرفض استخدامها للشعارات الإسلامية في التضليل والخداع تحقيقا لأهدافها؛ لأن العالم أصبح يدرك جيدا أن إيران أنفقت الملايين لبث الرعب وعدم الاستقرار في ربوعه، مثلما دعموا نظام الخرطوم الذي قبل أن يكون ذيلا لهم ومِعبرا لعناصرهم الإرهابية المأجورة. ثم ختم الكاتب موضوعه بقوله أن سلوك الإيرانيين يوكد أنه "لا ثقة أبدا في توجهاتهم وصدقاتهم" وإنهم مطالبون بإثبات مصداقيتهم ودورهم في المنطقة بالتخلي بالحقيقي عن تآمرهم وأطماعهم وتطلعاتهم القائمة على الهيمنة والسيطرة[cvi].

وعلى نفس المنوال تصدى الأستاذ "إبراهيم سعده" للمواقف الإيرانية في كثير من مقالاته الأسبوعية "الموقف السياسي" بصحيفة أخبار اليوم، نذكر منها مقالين فقط على سبيل المثال. حمل أولها عنوان: "صورة طبق الأصل" بتاريخ ١ يوليو ١٩٩٦م، رد فيه على رفض إيران مشاركة سوريا ومصر في ترتيبات الأمن في الخليج العربي، "التي طلبها ملوك وأمراء مجلس التعاون الخليجي" ووفق ما ورد بإعلان دمشق. كما عالج فيه أيضا تطاول التصريحات الإيرانية على مصر ودورها. إذ راح يبرهن على أن إيران باتت في ظل الجمهورية الإسلامية صورة طبق الأصل من الامبراطورية في زمن الشاه، وأنها في ظل هذه الجمهورية أضحت تمثل مصدر تهديد للأمن القومي العربي أكثر من كونها عنصر ثبات في المنطقة. مدللا على ذلك بأنها تريد تغيير هوية الخليج شكلا ومضمونا بوصفه هدفا استراتيجيا لإيران منذ زمن الشاه. وأن خطر نظامها الحالي ذهب لأبعد من منطقة الخليج ليمتد إلى الدول العربية القريبة والبعيدة عنها سواء في لبنان والعراق والجزائر. كما سخر الكاتب من الدعوة التي وجهها "ولايتي" لعقد اجتماع يضم وزراء خارجية إيران

والسعودية وسوريا لبحث الخطوات التنفيذية لكيفية توفير الأمن والاستقرار في منطقة الخليج؛ متسائلا: كيف تجاهل الوزير الإيراني في دعوته دول الخليج نفسها؟، ثم كيف يمكن الاطمئنان إلى حسن نوايا إيران في الوقت الذي تتمسك فيه باغتصاب الجزر الإماراتية الثلاث[cvii].

بينما حمل مقال الأستاذ إبراهيم سعدة الثاني عنوان: "أشياء لا يفهمها الملالي" الذي نشرته أخبار اليوم بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٩٦م، ليرد فيه على هجوم الصحف الإيرانية الذي أعقب زيارة الرئيس مبارك للإمارات لتهنئة الشيخ زايد بسلامة الوصول من أمريكا بعد رحلة علاج ناجحة، ويفوت الفرصة على هذه الصحف لتشويه علاقات الأخوة والصداقة التي ربطت بين مصر والإمارات. فاستهل هجومه على إيران بقوله: "كأن عدو واحد لا يكفي" ثم وصفها بالعدو الثاني الجديد للعرب بعد إسرائيل، وأنها تقاسمها الكراهية للعرب؛ فلم يكن هم إسرائيل إلا انتزاع الأراضي العربية شبرا بعد شبر، بينما كان هم إيران هو احتلال الجزر الإماراتية. وأردف الكاتب قائلا وها هي إيران تعلن "بكل الصفاقة المعروفة عن حكام طهران أنها لن تعيد هذه الجزر"، ولم لا وهي ذات الأيدي الخبيثة التي تعبث في البحرين وتثير القلاقل وتبذر بذور الفتن لزعزعة الاستقرار فيها، وهي التي خططت ومولت وأشرفت على كل العمليات الإرهابية والإجرامية التي ارتكبتها جماعات مرتزقة في مصر باعترافات المقبوض عليهم، وهي التي خططت أيضا لزعزعة الاستقرار في الدول العربية وإسقاط أنظمتها لتصبح معبرا لمفاهيم وسياسات وهيمنة ما يُعرف باسم الثورة الإسلامية في إيران[cviii]. ثم علق الكاتب بقوله: لأن مصر هي التي تقف بالمرصاد لاستفزازات إيران هنا وهناك؛ فقد غضب ملالي إيران من مصر وانتهزوها فرصة للهجوم والتهجم عليها، ولأنهم لم ينسوا مساعدة مصر للعراق خلال الحرب؛ فقد تفرغوا في طهران للانتقام منها، وللتشكيك في جدوى عملية السلام ووصفوها بأنها "موقف متخاذل وضعيف". ثم وصف الكاتب هجوم الإيرانيين على زيارة مبارك للإمارات بأنها "جليطة" و"صفاقة إيرانية لا حدود لها"[cix]

وعلى الرغم من كل ما سبق ذكره، ينبغي أن نشير في الختام إلى أن الصحافة المصرية لم تكن تكتف بمعالجة العلاقات الثنائية مع إيران من منطلقات وطنية وحسب، بل اهتمت أيضا جميعا، بإعادة تقديم إيران والعلاقة معها للرأي العام بمنهج علمي وأسلوب مهني قويم، فقد أصدرت مؤسسة الأهرام منذ عام ١٩٩٦م، سلسلة من الكراسات الاستراتيجية التي تناولت كل ما يتعلق بالشأن الإيراني بالدراسة والتحليل، فضلا عن إصدارها كراسة شهرية متخصصة تحمل عنوان: "مختارات إيرانية" الذي صدر عددها الأول في أغسطس من عام ٢٠٠٠م[cx]

وعلى كل فقد استمرت الحملات الإعلامية المتبادلة بين مصر وإيران، حتى توقفت تقريبا، أو إن شئت قل خفت حدتها كثيرا منذ مطلع عام ١٩٩٩م، وذلك بفضل الزيارات العلنية المتبادلة، بين المسئولين والوفود الرسمية

والشخصيات المختلفة من كلا البلدين بشكل عام، والزيارات السرية الإيرانية إلى القاهرة، التي قام بها كثير من الشخصيات الإيرانية نخص منها في هذا الشأن زيارات الحاج "محمد هاشمي" شقيق الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني وزيارة "مسيح مهاجري" رئيس تحرير صحيفة جمهوري إسلامي بشكل خاص.

الخاتمة

قادت الصحف المصرية والإيرانية صداما إعلاميا جسد حجم الافتراق الفكري والثقافي بين رؤيتين مختلفتين، ومدى الصدام بين مشروعين متنافرين، خاصة أن هذه المعالجة تناولت مدخلات لهذا الصدام، التي كان من أهمها مجابهة الراديكالية الشيعية ومناهضة الجماعات الأصولية المتطرفة

أدركت مصر أن مساندة إيران لجماعات العنف والإرهاب تمثل جزء من آليات إيران لتصدير ثورتها، بقدر ما كانت تدرك أيضا أن جانبا من مسئولية ترسيخ قناعات مناهضة هذه الجماعات لدى الرأي العام يقع على عاتق وسائل الإعلام،

استهدفت الصحف الإيرانية بناء صورة ذهنية للمجتمع المصري مفعمة بعوامل الانقسام والصدام الداخلي، ومن ناحية ومن ناحية أخرى، صدام بين نظام الحكم الذي يقف على رأسه "نظام مبارك" الذي صورته في هيئة "المستكبر"؛ وما يولده ذلك من استدعاء لمعاني الظلم والقمع. وبين الشعب الذي تتصدر قيادته الجماعات الأصولية "المستضعفة"، التي تجسد كل معاني "المظلومية" و"النضال، والاستشهاد المهمة في عقيدة الجمهورية "الإسلامية

حظيت جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية بعناية خاصة من الصحف الإيرانية؛ على اعتبار أنها فرضت سياقا ثقافيا وفكريا في المجتمع يمكن أن يمثل حاضنة لتعزيز القناعات الشعبية بأن النظام الإسلامي هو الحل لجميع معضلات الدولة ومشكلاتها.

عالجت الصحف المصرية والإيرانية تطور العلاقات الثنائية بين البلدين من منطلق تموضع كل منهما من القضايا الخلافية بينهما

عالجت الصحف الإيرانية العلاقات مع مصر، خلال فترة الدراسة، بصورة أكدت من خلالها ثبات موقف طهران تجاه القضايا الخلافية مع مصر.

عالجت الصحف المصرية العلاقات مع إيران بموضوعية وحسم، وردت على نظيرتها الإيرانية في جميع المواطن التي كانت تستدعي ذلك. وتميزت بأنها كانت كاشفة لأقاويل طهران ومزاعمها بشأن القضايا محل الخلاف بين البلدين.

لم تكتف الصحافة المصرية بمعالجة العلاقات الثنائية مع إيران من منطلقات وطنية وحسب، بل اهتمت أيضا، بإعادة تقديم إيران والعلاقة معها للرأي العام بمنهج علمي وأسلوب مهني قويم، تمثل في إصدارات مؤسسة الأهرام.

الهوامش

[i] خطاب الإمام الخميني حول مسألة تحرير القدس ومسألة المهدي المنتظر، من منشورات مركز الإعلام العالمي للثورة الإسلامية في إيران، طهران، ١٩٨٠م، ص. ٢١ . ٢٢.

ii جمهوري إسلامي، ١٣٧٥/٤/٢٦هـ.ش، محمد على أبطحي: "دانشگاه الأزهر وانتخاب انديشه هاى سنتي يا مدرن"

iii جمهوري إسلامي، ١٣٧٥/٤/١٢هـ.ش. "فريبكارى مفتي دربار فرعون".

iv كيهان العربي، ١٩٩٧/٦/٢٣م، "شيخ الأزهر في خندق المساومين".

v تقرير الملل والنحل والأعراق، السنوي السادس، انظر ص. ١٨٥ . ١٨٦.

vi للاطلاع على متن هذه الدراسات للكاتب المذكور، يمكن الرجوع إلى: صحيفة كيهان بتاريخ ٢٠ آذر ١٣٧٣هـ.ش "اكرام اهل بيت در مصر"، وكيهان بتاريخ ٣٢ آذر ١٣٧٣هـ.ش "جايگاه تشيع در مصر"، وصحيفة اطلاعات بتاريخ ٢٦ بهمن ١٣٧٣هـ.ش "مصر ومسألهء تقريب بين مذاهب إسلامي"، وجريدة جمهورى إسلامي بتاريخ ٢١ مرداد ١٣٧٤هـ.ش "اصل وحدت وتقريب بين مذاهب"، وجمهوري إسلامي بتاريخ ٨ مرداد ١٣٧٥هـ.ش "اصل وحدت وتقريب بين مذاهب إسلامي"

vii المرجع السابق

viii الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٣م، إبراهيم نافع: دفاعا عن مصر لا عن الصحافة المصرية"

ix الأهرام ١٩٩٦/١٠/٢٢م

x الأهرام، ١٩٩٦/١١/٨م

xi الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٢٢م، ومجلة روز اليوسف عدد ٣٣٦٣ بتاريخ ١٩٩٦/١١/٢٣م

xii جمهوري إسلامي، ١٥ آبان ١٣٧٥هـ.ش: محمد علي أبطحي "مقابله باتشيع در مصر، مقابله با تاريخ مصر".

xiii رسالت، ٣٠ دي ١٣٧٥هـ.ش، وجمهوري إسلامي، ١ بهمن ١٣٧٦هـ.ش، وجمهوري إسلامي، ٢ بهمن ١٣٧٦هـ.ش

xiv روز اليوسف، عدد رقم ٣٩٩٣، بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٤م.

xv مجلة روز اليوسف، عدد سبق ذكره.

[xvi] للاطلاع على نص الحوار، راجع موقع العربية نت: http://www.alarabiya.net/Articles/٢٠٠٦/٠٤/٠٨/٢٢٦٨٦.htm

[xvii] لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة موقع العربية نت: https://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٣/٠٢/٠٥/٢٦٤٥٧٧.html

xviii الهيئة العامة للاستعلامات: إيران، النظام السياسي والعلاقات الإقليمية، القاهرة، مايو، ١٩٩٣م، انظر ص. ٣١

xix الأهرام، ١٩٩٥/١٠/٢٠م.

xx الأخبار، ١٩٩٧/٢/١٧م

xxi جمهري إسلامي، ٣٠ بهمن ١٤٧٥هـ.ش "بازگشت به آغوش ملت؛ تنها راه نجات رژيم قاهره"

xxii جمهورى إسلامي، ٨ دي ١٣٨٦ هـ.ش.

[xxiii] اطلاعات، ٢ أرديبهشت ١٣٦٤هـ.ش

xxiv رسالت، ١٤ شهريور ١٣٦٦هـ.ش.

xxv جمهورى اسلامى، ٢١ اسفند ١٣٧٤هـ.ش.

xxvi جمهورى إسلامي، ٢٠ بهمن ١٣٧٥هـ.ش.

[xxvii] جمهورى إسلامي، ١١ آذر ١٣٧٤ هـ.ش.

[xxviii] اطلاعات، ٩ آذر ١٣٧٥هـ.ش.

[xxix] جمهورى إسلامي، ١٧ تير ١٣٧٤هـ. ش.

[xxx] جمهورى إسلامي، ٣ مهر ١٣٧٣هـ.ش

[xxxi] جمهوري إسلامي، ٢٨ مهر ١٣٧٣هـ.ش

[xxxii] جمهورى إسلامي، ١٥ فروردين ١٣٧٥هـ.ش.

[xxxiii] جمهورى إسلامي، ٢٦ شهريور ١٣٧٤هـ.ش.

[xxxiv] جمهوري إسلامي، ٢١ اسفند ١٣٧٦هـ.ش

[xxxv] جمهورى إسلامي، ٢٥ مهر ١٣٧٣هـ.ش.

[xxxvi] جمهورى إسلامي ٢٨ مهر ١٣٧٤هـ.ش.

xxxvii جمهورى اسلامى، ٢٥ دي ١٣٧٤هـ.ش.

xxxviii اطلاعات، ١٨ فروردين، ١٣٧٥هـ.ش "انهدام جامعه مصر؛ نتيجه استمرار فشار عليه جريانات هاى اسلامى"

[xxxix] جمهوري إسلامي، ٢٢ مهر ١٣٧٥هـ.ش: "مبارک، وحشت از واقعيت هاي جامعه مصر"

xl كيهان العربي، ١٥/٤/١٩٩٧م.

xli **محاولة اغتيال مبارك في الصحف الإيرانية:** اهتمت الصحف الإيرانية الصادرة يوم ٨ تير ١٣٧٤هـ.ش، اهتماما بالغا، فعلى سبيل المثال، خرجت صحيفة اطلاعات بعنوان خبر في صدر صفحتها الأولى: فشل محاولة اغتيال مبارك"، وبخبر آخر في ذات الصفحة، تحت عنوان: "يوم صاخب لحسني مبارك". بينما تناولت صحيفة رسالت خبر "إعلان التعبئة العامة في السودان، أما صحيفة كيهان فقد نشرت خبرا تحت عنوان: تقارير وكالات الأنباء تفيد بعقد اجتماع طارئ في القاهرة لبحث تداعيات محاولة اغتيال مبارك الفاشلة

xlii رسالت، ٦تير ١٣٧٤هـ.ش حشمت الله فلاحت پيشه: "ترور مبارك توسط موساد" ولمزيد من التفاصيل حول رد إيران على الاتهامات الإسرائيلية باغتيال مبارك، يمكن الرجوع إلى موضوع نشر تحت عنوان:"انتساب سوء قصد عليه مبارك به ايران دروغي بزرگ، ويك گستاخي وقيحانه است" في صحيفه: ايران بتاريخ ٦ تير ١٣٧٤هـ.ش.

xliii كيهان، ٨ تير ١٣٧٤هـ.ش، سعيد خاكرند: فراتر از حلايب".

xliv جمهورى اسلامي، ٨ تير ١٣٧٤هـ.ش: "قاهره اهرم فشار أمريكا عليه سودان"

xlv رسالت،١١ تير ١٣٧٤هـ.ش، ولمزيد من التفاصيل حول تغطية الصحف الإيرانية لمحاولة اغتيال مبارك، يمكن الرجوع إلى كل من صحف: "رسالت" و"كيهان"، و"جمهوى اسلامي"، و"اطلاعات"، و"ايران" بتاريخ ٨- ١١/٤/١٣٧٥هـ.ش، و"كيهان العربي" بتاريخ ٢٨. ٦/٣٠ -١٩٩٥/٧/٥م

[xlvi] وليد محمود عبد الناصر: ثلاث دوائر إقليمية للسياسة الخارجية الإيرانية، ص ٢٠

[xlvii] العربية نت: https://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٨/٠٧/٢٠/٥٣٤٣٧.html

[xlviii] إعدام فرعون: بدأت مقدمة الفيلم بالعبارات الفارسية: تقديم به روح شهيد سروان خالد احمد شوقى اسلامبولي، .. كارى از كميته فرهنگى ستاد پاسداشت شهداى نهضت جهانى اسلام"، .. اعدام فرعون

[xlix] العربية نت: https://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٨/٠٧/٠٧/٥٢٧١٩.html

[l] اليوم السابع: http://www.youm٧.com/story/٢٠٠٨/٧/٩

[li] العربية نت: https://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٨/٠٧/٢٠/٥٣٤٣٧.html

[lii] العربية نت:https://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٨/٠٧/١٤/٥٣٠٧٩.html

[liii] المرجع السابق

[liv] موقع جريدة عصر إيران، على الرابط: http://asriran.com/ar/pages/?cid=٥٦١٤ ، وموقع العربية نت على الرابط:https://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٨/٠٧/٠٧/٥٢٧١٩.html

[lv] وكالة رويترز : https://ara.reuters.com/article/entertainmentNews/idARAEGO٣٤٧٢٤٦٢٠٠٨٠٧١٣

[lvi] كيهان ١٦ تير ١٣٧١هـ.ش.

[lvii] المرجع السابق.

[lviii] جريدة العربي، الناطقة باسم الحزب الناصري، بتاريخ ١٩٩٣/٢/٦م.

[lix] مجلة المجلة، العدد ٦٩٦، بتاريخ ١٩٩٣/٦/١٢م.

[lx] كيهان، ١١ خرداد ١٣٧٣هـ.ش.

[lxi] لمزيد من المعلومات، والاطلاع على هذه المقالات، يمكن الرجوع إلى صحيفة جمهوري إسلامي الصادرة أيام: ١٩ خردا ١٣٧٣هـ.ش، ٢٣ خرداد١٣٧٣هـ.ش، ٢٦ خرداد١٣٧٣هـ.ش، ٢٨ خرداد١٣٧٣هـ.ش، ٥ تير١٣٧٣هـ.ش.

[lxii] كيهان، ٨ شهريور ١٣٧٣هـ.ش،

[lxiii] جمهوري إسلامي، ١٠ شهريور ١٣٧٣هـ.ش

[lxiv] الأهرام، ١٩٩٦/٥/٢٣م.

[lxv] جمهوري إسلامي، ٩ خرداد ١٣٧٥هـ.ش، "خوانساري: خبرگزاري مصر اظهاراتم را تحريف كرده است"

[lxvi] جمهوري اسلامي، ٢٩ آبان ١٣٧٤هـ.ش، "رژيم مصر، دلال صهيونيزم"

[lxvii] جمهوري إسلامي ٩ ارديبهشت ١٣٧٧هـ.ش "شمشير ملت مصر در كمين مزدوران صهيونيسم"

[lxviii] جمهوري اسلامي ١٦ مهر ١٣٧٤هـ.ش "سرپوش بر خيانتهاي مستمر ارتجاع عرب"

[lxix] جمهوري اسلامي ٢٦ اسفند ١٣٧٤هـ.ش، "ناكامي مثلث شوم مصر . اسرائيل . أمريكا"

[lxx] جمهوري إسلامي ٩ خرداد ١٣٧٥ هـ.ش، "رژيم قاهره بايد خودش را اصلاح كند"

[lxxi] جمهوري إسلامي ٢١ خرداد ١٣٧٥هـ.ش "مبارک سنگ صهيونيستها را به سينه مي زند"

[lxxii] جمهوري إسلامي، ٦ تير ١٣٧٥هـ.ش "اجلاس قاهره، اجلاس آمريكائي"

[lxxiii] جمهوري إسلامي، ١٨ تير ١٣٧٥هـ.ش

[lxxiv] جمهوى اسلامي، ٢٢مرداد ١٣٧٥هـ.ش: "رژيم فلج شده قاهره تنها از سياست كلينتون حمايت مي كند

[lxxv] جمهوري اسلامي، ١٢ شهريور ١٣٧٥هـ.ش، قاهره، يک متحد مورد اعتماد اسرائيل

[lxxvi] جمهوري إسلامي، ٢٠ آبان ١٣٧٥هـ.ش، "اجلاس قاهره، استمرار يک دلالي شؤم" ولمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى صحيفة كيهان بتواريخ ١٧ آبان ١٣٧٥هـ.ش، و٢٠ آبان ١٣٧٥هـ.ش، ٢٢ آبان ١٣٧٥هـ.ش، ٢٣ آبان ١٣٧٥هـ.ش، وصحيفة جمهوري إسلامي بتواريخ: ٢٢ آبان ١٣٧٥هـ.ش، ٢٣ آبان ١٣٧٥هـ.ش،

[lxxvii] جمهوري إسلامي ٢ بهمن ١٣٧٥هـ.ش، "رژيم قاهره، بازوي اجرايي صهيونست ها .

[lxxviii] جمهوي إسلامي، ٢٦ شهريور ١٣٧٧هـ.ش "فراوردهاي خيانت"

[lxxix] كيهان العربي، ١٩٩٧/٦/٢٤م.

[lxxx] جمهوری اسلامي، ٢٣ مرداد ١٣٧٥هـ.ش

[lxxxi] جمهوري اسلامي ١٢ آذر ١٣٧٥هـ.ش.

[lxxxii] لمزيد من المعلومات والاطلاع على نص الخطابات المتبادلة بين الخارجية الإيرانية وصحيفتي جمهوري إسلامي وكيهان، يمكن الرجوع إلى: الأعداد الصادرة من صحيفة جمهوري إسلامي بتواريخ: ٢٤ تير ١٣٧٥هـ.ش، التي وجهت مقالها الافتتاحي إلى وزارة الخارجية، تحت عنوان: "سياست خارجي ومعيار انزوا" (السياسة الخارجية ومعيار العزلة) والذي ردت عليه الخارجية الإيرانية بتاريخ ٣٠ تير ١٣٧٥هـ.ش، تحت عنوان "پاسخ به سر مقاله روزنامه جمهوري إسلامي و١٠ نكته به وزارت امور خارجه" (ردا على مقال جمهوري إسلامي الافتتاحي و١٠ نقاط إلى وزارة الخارجية)، ثم ردت الخارجية بمقال آخر وجهته إلى جمهوري إسلامي، ونشرته بتاريخ ١ مرداد ١٣٧٦هـ.ش تحت عنوان: "باز هم پاسخ به سر مقاله جمهوري إسلامي و٨ نكته با وزارت خارجه" (رد آخر على مقال جمهوري إسلامي و٨ نقاط مع الخارجية). أما صحيفة كيهان فقد نشرت موضوعا لها بتاريخ ١٨ تير ١٣٧٥هـ.ش تحت عنوان: "عضو كابينه عرفات در تهران چه مى كند" (ماذا يعمل عضو حكومة عرفات في طهران) ونشرت الصحيفة بتاريخ ٢٣ تير ١٣٧٥هـ.ش، رد الوزارة المذكورة تحت عنوان: "پاسخ وزارت امور خارجه به مقاله كيهان وسخن ما (رد وزارة الخارجية على مقالة كيهان وكلمتنا" الذي كتبه محمود حميدي مستشار وزير الخارجية ومدير العلاقات العامة بالوزارة.

[lxxxiii] جمهوري إسلامي، ٣٠ تير ١٣٧٧هـ.ش "ارزيابي نقش فعال قاهره در بناي فروريختني صلح خاور ميانه" و "صهيونيستها او تركيه چه مي خواهند"

[lxxxiv] **إيران جيت:** أو **إيران كونترا** نشرت مجلة "الشراع" اللبنانية الشيعية ١٩٨٦/١١/٣م، سبقا صحفيا؛ بناء على التفاصيل الخطيرة التي حصلت عليها من «مهدي هاشمي» صهر آية الله "منتظري" نائب آية الله خميني. كشفت بموجبه أسرار رحلة "روبرت ماكفرلين" المستشار الأسبق لشئون الأمن القومي للرئيس الأمريكي، إلى إيران تحت عنوان «بين منطق الدولة ومنطق الثورة. ماذا جرى في إيران...هل صحيح أن ماكفرلين زار طهران وماذا فعل؟». وقد مثل هذا السبق بمثابة نقطة انطلاق في افتضاح الكثير من الحقائق بشأن علاقة كل من أمريكا وإسرائيل مع إيران، في وقت كانت أمريكا وإسرائيل تمثلان ركيزتين في معسكر الشيطان طبقاً للدعاية الإيرانية في ذلك الوقت. ومن ثم بدأت وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العالمية في معالجة الموضوع الذي كشف سبل استثمار إيران لضلوعها في عمليات الإرهاب الدولي في ابتزاز عديد من الدول الأخرى بالاشتراك مع إسرائيل (الشيطان الأصغر). وقد قامت فضيحة إيران . جيت، على صفقة تمت بين الولايات المتحدة الأمريكية (الشيطان الأكبر) وإيران (الإسلامية) توسطت بموجبها طهران لإطلاق الرهائن الأمريكيين في بيروت مقابل تحقيق طلبات إيرانية محددة في التسليح، في ذروة حربها مع العراق، ومن ثم

تدفقت شحنات كبيرة من الأسلحة أمريكية بطريقة سرية إلى إيران. والتي شملت أكثر من ألفي صاروخ تاو المضاد للدبابات وقطع غيار أخرى وأكثر من ١٨٠ صاروخ هوك المحسن وقطع غياره، فضلاً عن قطع غيار الطائرات وإطاراتها. وفي المقابل فإن الأموال الإيرانية المدفوعة كانت تساعد الأمريكيين على تمويل عمليات ثوار الكونترا في نيكاراجوا، فضلاً عن الإفراج عن الرهائن الأمريكيين في لبنان. وهذا ما أكده بيان رسمي صدر في إسرائيل يوم٢٥نوفمبر ١٩٨٦م أكدت فيه تل أبيب على: «أن إسرائيل قدمت مساعدات من أجل نقل أسلحة دفاعية وقطع غيار من الولايات المتحدة إلى إيران وذلك بناءً على طلب الولايات المتحدة، وحولت أثمان الأسلحة مباشرة من قبل مندوب إيران إلى بنك سويسري بناءً على تعليمات المندوبين الأمريكيين، وبدون أن تمر هذه الأموال عبر إسرائيل. وأن «جزءاً من هذه الأموال حُوِل لثوار الكونترا» وليس لإسرائيل أية علاقة به. وقد أدت هذه الفضيحة إلى أصداء عنيفة داخل إيران إذ تم اعتقال مهدي هاشمي الذي سرَّب الأسرار عن زيارة ماكفرلين لطهران ومن ورائه فضيحة إيران جيت، إذ قدم إلى المحاكمة وأعدم. كما أطاحت أيضاً بروبرت ماكفرلين من منصبه مستشاراً للرئيس الأمريكي للأمن القومي. لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى سعيد الصباغ: المعجم الموسوعي، ومجلة الشراع اللبنانية بتاريخ ١٩٨٦/١١/١٣ن، وجريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٤م

lxxxv أحمد منصور هيبة: المعالجة الصحفية للحرب العراقية الإيرانية، انظر ص ١٨١

lxxxvi السيد عليوه: التهديد الإيراني للأمن القومي المصري، الباحث العربي، عدد ١٣، اكتوبر . ديسمبر ١٩٨٧م، انظر ص ٥٣ . ٥٥

lxxxvii الوفد، ١٩٩٢/٦/٢٩م.

lxxxviii مجلة الشروق، العدد ٨، ٣ . ١٩٩٢/٦/٥م.

lxxxix المرجع السابق

xc الوفد، ١٩٩٢/٦/٢٩م.

xci أخبار اليوم، ١٩٩٢/٧/٢٥م، الاستاذ إبراهيم سعده: "العبوا غيرها"

xcii المرج السابق

xciii الاخبار، ١٩٩٢/١١/٢٧م.

xciv المرجع السابق

xcv المصور، العدد ٣٥٥٥، بتاريخ ١٩٩٢/١١/٢٧م.

xcvi المرجع السابق

xcvii الأخبار، ١٩٩٢/١٢/١م

xcviii كيهان، ٢١ شهريور ١٣٧٣هـ.ش

xcix الأهرام، ١٩٩٤/٩/١٥م، ابراهيم نافع: "رفسنجاني وسهامه الطائشة ضد مصر"

c المرجع السابق

ci نفسه

cii الأهرام، ١٩٩٤/٩/٢٢م

ciii الأهرام، ١٩٩٤/٩/٢٤م.

civ الأهرام، ١٩٩٤/١٠/٣٠م.

[cv] الأهرام، ١٩٩٥/١٠/٢٠م

[cvi] الأخبار، ١٩٩٦/١/٢م

[cvii] أخبار اليوم، ١٩٩٦/٧/١م

[cviii] أخبار اليوم، ١٩٩٦/١١/٣٠م

[cix] المرجع السابق

[cx] لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى: عمرو عبد السميع "١٧ عاما على الجمهورية الإسلامية في طهران .. رحيل الاعتدال التجريبي المؤقت قبيل الانتخابات العامة في أبريل" المنشور في جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢م، والحلقة الثانية جاءت تحت عنوان ""التحالف المقدس بين آيات الله والبازار" بتاريخ ٣/٣ ، والحلقة الثالثة في اليوم التالي ٣/٤، تحت عنوان "تناقض في أجندة السياسة الخارجية بين المعلن والسري". وكذلك يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى: وليد محمود عبد الناصر: ثلاث دوائر إقليمية للسياسة الخارجية الإيرانية، سلسلة كراسات استراتيجية (رقم ٣٨)، ١٩٩٦م.